جامعة سعد دحلب البليدة
كلية الآداب و العلوم الاجتماعية
قسم اللغـة العربية و آدابها

!!

مذكرة ماجستير

التخصص: أدبي

!!

الخطاب السّردي في رواية الجازية والدّراويش

لعبد الحميد بن هدّوقة

من طرف:

آمال حلفاوي

أمام اللّجنة المشكلة من:

عبد لي محمد السعيد	أستاذ التعليم العالي - جامعة البليدة -	رئيسا
شنوفي محمد	أستاذ محاضر– أ – جامعة الجزائر	مشرفا و مقررا
قرطي خليفة	أستاذ محاضر– أ – جامعة البليدة	عضوا مناقشا
مدلفاف سليمة	أستاذ ة محاضرة– ب – جامعة البليدة	عضوا مناقشا

البليدة، ديسمبر 2012

جامعـة سعد دحلب البليدة

كلية الآداب و العلوم الاجتماعية

قسم اللغـة العربية و آدابها

مذكرة ماجستير

التخصص: أدبي

الخطاب السّردي في رواية الجازية والدّراويش
لعبد الحميد بن هدّوقة

من طرف:

آمال حلفاوي

أمام اللّجنة المشكلة من:

عبد لي محمد السعيد	أستاذ التعليم العالي - جامعة البليدة -	رئيسا
شنوفي محمد	أستاذ محاضر– أ – جامعة الجزائر	مشرفا و مقررا
قرطي خليفة	أستاذ محاضر– أ – جامعة البليدة	عضوا مناقشا
مدلفاف سليمة	أستاذ ة محاضرة– ب – جامعة البليدة	عضوا مناقشا

البليدة، جانفي 2013

الملخّص!!

يتضمّن هذا البحث الموسوم ب:الخطاب السّردي في رواية الجازية والدّراويش لعبد الحميد بن هدّوقة ،البناء السّردي لهذا العمل الرّوائيّ الضّخم ، وفق منهج "جيرار جنيت "المتضمّن القضايا التّالية :

-التّنافر الزّمني .

-المدّة والتّواتر .

-الصّيغة والصّوت .

لقد احتوى عنصر التّنافر الزّمني ،التّغيّرات والضّغوطات الّتي شهدها الزّمن في تحوّل الحكاية إلى قصّة مسرودة ومكتوبة ،في حين حوى عنصر المدّة والتّواتر ، سرعة السّرد ،أي :فترة الأحداث في الحكاية ومساحتها النصيّة في الرّواية ،كما حوى -أيضا-مدّة تكرار الحدث في الرّواية ووقوعه في الحكاية ،وتضمّن عنصر الصّيغة والصّوت حضور وغياب السّارد ،وحجم أو كميّة المعلومات الّتي يتقدّمها السّارد ،وتراوحها بينه وبين الشّخصيّات ،والأنواع السّرديّة فعلاقة السّاردين بالحكاية .

شكر

قال اللّه تعالى :«لئن شكرتم لأزيدنّكم»

الشّكر -إذن-مدعاة الزّيادة ،والنّصيحة في سبيل العلم شهادة ،فالحمد والشّكر للّه قبل أيّ أحد فهو الّذي هدانا لهذا العمل ،ورفع عنّا العجز والكسل ،وأفرغ علينا صبرا وجنّبنا الملل ،وأحيانا بالأمل كما يحيي الزّهرة البلل ، إلى أن تمّ العمل بفضله عزّ وجلّ .

هذا ،وأتوجّه بشكري الجزيل إلى أستاذي القدير الدّكتور **"محمّد شنّوفي"**،الّذي شرّفن بإشرافه على إنجاز هذا البحث ،ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر معلّميّ وأساتذتي من الطّور الابتدائي ،إلى الدّور المتوسّط إلى الثّانوي ،فالجامعي ، وسائر من دعّمني ،معنويّا وماديّا وأخصّ بالذّكر **زوجي الكريم** ،كما لا أنسى مؤطّري وعمّال قسم اللّغة العربيّة وآدابها بجامعة سعد دحلب -البليدة- .

وشكر وتقدير خاصّ أتقدّم به للأستاذة الكريمة الّتي ما انفكّت تساعدني ،الدّكتورة القديرة **"سليمة مدلفاف"**،وزميلتها الأستاذة الكريمة **"بن تريدي"**حتّى أكمل البحث.

قائمة الأشكال

- الدّوائر النّسبيّة للحركات السّرديّة 70
- مخطّط توضيح عنصر الصّوت 106

الفهرس

الملخّص 1

شكر 2

قائمة الأشكال 3

الفهرس 4

المقدّمة.....9

التّمهيد 11

1- منهج جيرار جنيت في تحليل الخطاب القصصيّ.....11

1.1-التّنافر 11

1.1.1- اللّواحق 12

2.1.1- السّوابق 13

2.1- المدّة 14

1.2.1- القصّة الموجزة 15

2.2.1- الوقف أو الوقفة 15

3.2.1- الإضمار 15

4.2.1- المشهد 17

3.1- التّواتر 17

1.3.1- القصّة المفردة 18

2.3.1- القصّة المكرّرة 18
3.3.1- القصّة المؤلّفة 18
4.1- الصّيغة 19
1.4.1- المسافة 19
2.4.1- المنظور 20
5.1- الصّوت 21
1.5.1- زمن السّرد 21
2.5.1- المستويات السّرديّة 22
3.5.1- السّاردون وعلاقتهم بالحكاية 23
2-ملخّص الرّواية 24
3- تقسيم الرّواية 24
1-التّنافر الزّمنيّ في رواية الجازية والدّراويش.....29
1.1-التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّرديّة الأولى 30
1.1.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل 30
2.1.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّاني.....31
3.1.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث 32
4.1.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الرّابع 33
2.1-التّنافر الزّمني في الوحدة السّرديّة الثّانية 35
1.2.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل 35
2.2.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّاني 35

3.2.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث 37

4.2.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الرّابع 37

3.1-التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّرديّة الثّالثة 38

1.3.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل 38

2.3.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّاني 40

3.3.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث 42

4.3.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الرّابع 44

5.3.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الخامس 45

4.1-التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّرديّة الرّابعة 46

1.4.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل 46

2.4.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّاني 47

3.4.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث 48

5.1- التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّرديّة الخامسة 49

1.5.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل 49

2.5.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّانيّ 51

3.5.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث 52

4.5.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الرّابع 54

5.5.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الخامس 54

6.5.1 –التنافر الزمني في المقطع السادس.....56

6.1-التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّرديّة السّادسة 58

1.6.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل 58
2.6.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّانيّ 60
7.1-التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّرديّة السّابعة 61
1.7.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل 61
2.7.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّانيّ 61
3.7.1-االتّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث 62
4.7.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الرّابع 64
8.1-التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّرديّة الثّامنة 65
1.8.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل 65
2.8.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّانيّ 66
3.8.1- االتّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث 68
2-المدّة والتّواتر في رواية الجازية والدّراويش.....69
1.2-المدّة 69
1.1.2-الحركات السّرديّة 69
2.1.2-زمن الحكاية والقصّة ،و زمن القراءة 88
2.2-التّواتر 90
3-الصّيغة والصّوت في رواية الجازية والدّراويش.....92
1.3-الصّيغة 92
1.1.3-الصّيغة في الأزمنة الأولى 92
1.1.1.3- المسافة 92

2.1.1.3-التّبئير 97

2.1.3- الصّيغة في الأزمنة الثّانية 100

1.2.1.3- المسافة 100

2.2.1.3- التّبئير 102

2.3-الصّوت 104

- الخاتمة 107

- المصادر والمراجع 109

المقدّمة

!!

لقد عزمت أن تكون إرواية "الجازية و الدراويش " ، للكاتب الجزائري " عبد الحميد بن هدوقة" مادّة لهذا البحث ، بعد استشارة الأستاذ المشرف ، الّذي ألفت نظري إلى أهميّة هذه الرّواية في الأدب الجزائري المكتوب باللّغة العربيّة .

ولقد واجهت لإنجاز هذا البحث الموسوم بـ : الخطاب السّردي في رواية "الجازية و الدراويش "لعبد الحميد بن هدّوقة ،بسهولة ،بل واجهت متاعب كثيرة، و مشاكل عديدة معنوية و مادية، جعلتني أتأخّر عن مباشرة البحث ، فلولا فضل الله تعالى ، ما تيسّر لي الأمر، كما لا أنسى فضل الأساتذة وعلى رأسهم الأستاذ المشرف ، ومعروفهم الّذي بذلوه لي ، و لا نصحهم ، ولا تحفيزهم لي ، فهم من نفخ فيّ روح الأمل، و الصّمود، و بهم شدّ الله أزري، و بفضلهم -مشاعل الأمل - جمعت شتات أفكاري، ووضعت خطة هذا البحث.

هذا؛ و سعيت إلى أن يكون هذا البحث جوابا على الإشكالية التالية : كيف يشتغل الخطاب الروائي في " الجازية و الدراويش" ؟، و قصد استنطاق الخصائص السردية للخطاب السّردي في رواية " الجازية والدّراويش "،اعتمدنا خلفية نظرية بنويّة ، متمثّلة في منهج"جيرار جينيت" GERARD GENETTE [1]في تحليل الخطاب القصصيّ .

أمّا عن الخطّة التّي يعتمد عليها هذا البحث، فتقوم – أساسا – على ثلاثة فصول، جاء الفصل الأوّل منها بعنوان : التّنافر الزّمني في رواية "الجازية والدّراويش"، و تناولت فيه التغيّرات،و الضّغوطات الّتي شهدها الزّمن، في تحوّل الحكاية إلى قصّة مسرودة، و تعرّضت فيه إلى سرعة السّرد، وجاء الفصل الثّالث بعنوان : الصّيغة والصّوت في رواية "الجازية و الدّراويش" ، فتطرّقت في عنصر " الصّيغة " إلى حضور السّارد وغيابه ، و حجم وكميّة المعلومات التّي يقدّمها السّارد ، و تراوحها بينه و بين الشّخصيات، ثمّ تناولت في عنصر " الصّوت" الأنواع السّردية ، والمستويات السّردية ، فعلاقة السّاردين بالحكاية ، وألحقت بآخر الفصول الثّلاثة السّابقة الذّكر، خاتمة قدّمت فيها ،أهمّ النّتائج الّتي تمّ التوصّل إليها، بعد تطبيق منهج "جنيت " في تحليل رواية" الجازية و الدّراويش" ،كما قدّمت للفصول الثّلاثة بتمهيد ضمّنته منهج "جيرار جنيت " في تحليل الخطاب القصصي ،

قصد التعرّف على منهج الباحث، و توضيح معالمه، و ملخّص الرّواية ، فتقسيمها ، و ذلك من خلال ضبط و حداتها السّردية ، الّتي تمّ تقسيمها هي الأخرى إلى مقاطع زمنيّة ، حتّى تسهل دراسة التّنافر الزّمني في الرّواية .

و تجدر الإشارة إلى أنّ سبب اختيار هذه الخطّة ، هو المنهج الّذي تمّ توظيفه في التّحليل ، و ألحقت بالبحث في صيغته النّهائية فهرسين : الأوّل منهما لمصادر البحث ، و مراجعه العربيّة ، و الأجنبيّة ،والمترجمة ، والثّاني منهما للمحتويات.

ولا أنسى - في الأخير- أن أتقدّم بشكري الجزيل إلى كلّ من أمدّني بالمساعدة لإنجاز هذا البحث المتواضع، الّذي أرجو أن يسهم في إثراء الزّاد الأدبي الجزائريّ ، و أن يكون جديرا بأخذ مكان في أحد رفوف المكتبة الجزائرية.

!!

التّمهيد

1- منهج جيرار جنيت " GERARD GENETTE"في تحليل الخطاب القصصي :

إنّ الحديث عن منهج "جنيت" في تحليل الخطاب القصصي ، يعني الحديث-خاصّة- عن كتابه "خطاب القصة" [1]الذي يمثّل مرحلة متطوّرة من مراحل تطوّر تحليل الخطاب السّردي، التي حمل مشعلها الشكلانيون الرّوس ، وطوّرها من حذا حذوهم من الباحثين [2]ص76،وسنبرز من خلال كتاب "جنيت"سابق الذكر، ومن خلال كتب أخرى،معظم الخطوات التي يتّبعها الباحث في تحليله للخطاب السّردي.

ويثير"جنيت" في تحليله ثلاث قضايا، يدرسها من خلال العلاقات الزمنية التي يحدّدها كلّ من زمن القصّة الزّائف ، وزمن الحكاية ، ويخصّص لها ثلاثة فصول : التّرتيب الزّمنيّ ، والمدّة و التواتر ، فضلا عن قضيّتين أساسيّتين أخريين ، و هما:الصّيغة و الصّوت.

1.1-التنافر "anachronie distorsion":

يقصد بالتّنافر،اصطدام زمن الحكاية بزمن القصّة ،و بتعبيرآخر، هو مواجهة ترتيب الأحداث في القصّة ،بنظام ترتيب الأحداث في الحكاية. و دراسة النّظام الزّمني في القصّة هو :« مقارنة ترتيب الأحداث أو المقاطع الزّمنية في الخطاب السردّي ، بنظام تتابع هذه الأهداف أو المقاطع الزمنية نفسها في الحكاية ، وتستدعي هذه المقارنة ، وجود نقطة يتّفق فيها الزّمنان ، وهي درجة الصّفر " [3] ص78-79.

إنّ الخطاب السّردي ذوترتيب زمني مخصوص في ذاته ، يكون متّصلا في نسقه بإرادة السّارد، وذلك انطلاقا من اعتبارات شتّى ،فالتّرتيب الذّي ترد عليه الأحداث في القصّة ، هو غير التّرتيب الذّي كانت عليه الأحداث في الحكاية ،لكون سارد القصّة متصرّفا بالضرورة فيما يأخذ وما يدع ، لا على سبيل الاختيار فحسب ، وإنّما لاستحالة التّطابق بين الحكاية (الأحداث كما وقعت) و القصّة (الأحداث المسرودة) ، فالأحداث التّي تمّ إيرادها في القصّة ،لم تقع في الحقيقة على نفس التّرتيب في الحكاية، وقد يكون التّرتيب الزّمني للقصّة مطابقا لترتيب الحكاية وهو أمر نادر، وهو ما

يسمّيه "جنيت" الدّرجة الصفر" " le degré zero" ،وهذه الأخيرة هي النّقطة التّي تلتقي عندها القصة والقصّة والحكاية،فيتّحد زمناها،كما قد يبدأ السّارد سرده من أيّ نقطة زمنية شاء،فيكون ترتيبه

الزّمني معكوسا في هذه الحالة بالقياس مع أصل التّرتيب الأوّل الذي كان في عالم الحكاية،أي:يحيل أوّل الأحداث ورودا في القصّة، على آخرها حدوثا في الحكاية [1]ص114،115،116.

ويعمد"جنيت" في دراسة عنصر"التنافر"،إلى تقطيع النّص السّردي إلى وحدات كبرى،تندرج تحتها وحدات صغرى(مقاطع)، يوضّح من خلالها بنية القصّة الزمنية الماضي بالرقم (2)في حين يعيّن الأحداث الحكائية – حسب تسلسلها في القصّة - بواسطة الحروف الأبجدية ، وحتى يربط بين المقاطع ويوحّدها،يحلّل العلاقات القائمة بينها من خلال إشارته إلى وظائف السّوابق ، واللّواحق [2]ص15. وتشكّل المسافة الزّمنيّة "la distance"بعدا هامّا في التّنافر ، و يحدّدها الباحث في:

المدى" portée ":هو المسافة الزمنية الفاصلة بين وضع القصة، ووضع الحكاية.
العمق" amplitud": هو المسافة التّي يغطيها المدى،المدة الحكائية طويلة نوعا ما [3]ص 15و بتعبير آخر، المدى هو الفاصل الزمني بين لحظة توقف"السارد" ليسرد لاحقه أو سابقه، ولحظة استئنافه السرد بعودته إلى اللحظة التي انقطع فيها سرده،أو إلى لحظة أخرى، والعمق هو ما يحتويه المدى من أحداث(عدد الصفحات التي تشغلها الأحداث).

1.1.- اللّواحق"analepses" :

وتعني تداعي الأحداث الماضية التي سبق حدوثها لحظة السرد، و إلحاقها بالزمن الحاضر (النقطة الصفر)، أوباللحظة الآنية للسرد، و غالبا ما يستخدم فيها "السارد" الصيغ الماضية، لكونه يسرد أحداثا ماضية، على أنّ هذه الصيغ تتغيّر وفقا لطريقة السّارد [4]ص24.

و اللاحقة –أيضا- هي سرد متأخر لحدث قد تمّ وقوعه في الحكاية، فهي عودة إلى الوراء، لإلحاق سرد حدث في القصة أو الرواية، بحدث مضى وقوعه في الحكاية ، و إنطلاقا من وضع أوموقع نقطة المدى، يقسم " جنيت"اللواحق إلى قسمين: خارجية و داخلية، فإذا كانت نقطة المدى داخل الحقل الزمني للقصة الأولى، فإنّ اللاحقة داخلية، و أمّا إذا كانت نقطة المدى خارج الحقل الزّمني للقصّة الأولى، فإنّ اللاحقة خارجية، ولا تتداخل مع القصّة الأولى [5]ص101، أمّا اللّواحق الداخلية فإنّها أكثر تعقيدا، لأنّ زمنها هو زمن القصّة نفسه، و هذا ما يؤدّي إلى التّصادم بينهما [6]ص15، و نظرا لهذا التداخل يميّز "جنيت" نوعين من اللواحق الداخلية :

-اللواحق الداخلية الغربية عن الحكاية " les Analepses internes hétérodié gétique

و يكون مضمونها الحكائي مخالفا لمضمون القصّة: تقديم ماضي شخصية جديدة [5]ص15 .

-اللواحق الداخلية المضمنة " Les Analepses internes homodiégétiques ": و هي لواحق تساير حدث القصّة ، لذا فهي أكثر تداخلا من الأولى [5]ص16، و يميّز فيها "جنيت" نوعين هما:

-اللواحق المتممة أو الإرجاعات :" Les Analepses completitives ou renvios "

[5]ص16و يتضمّن هذا النّوع من اللواحق، مقاطع استذكارية أو إرجاعات، تحقق مقاصد حكائية شتّى، مثل :ملء الفجوات التي يخلّفها السرد وراءه، بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة،أوبإطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ، ثمّ عادت من جديد [4]ص122.

-اللواحق الداخلية المضمنة التكرارية " les analepses internes répététives ou rappels

[5]ص16: و هي تذكير بأحداث ماضية، وقع إيرادها فيما سبق من السرد، أي:عودة "السارد" بصفة صريحة أوضمنية، إلى نقطة زمنية وردت من قبل، و لهذه اللواحق وظيفة هامة جدا، رغم ضعف حجمها النصي، بالإضافة إلى كونها مقاطع نصية لا تساعد على تقدم سير الأحداث، فهي تبرز القيمة الدلالية الخاصّة لبعض عناصر الحكاية ، و تتمثل أهميّة اللواحق الداخلية المضمنة التكرارية –أيضا- في تغيير دلالة بعض الأحداث الماضية، سواءبإعطاء دلالة لما لم تكن له دلالة أصلا، أو لسحب تأويل سابق، واستبداله بتفسير جديد، وذلك ما جعل اللّواحق من أهمّ وسائل انتقال المعنى داخل الرّواية أوالقصّة[1]ص93-100.

و يقسّم "جنيت" اللواحق من خلال العمق إلى نوعين : اللواحق الجزئية "Apartielles"، وهي لواحق مؤقتة ذات وظيفة إعلامية، تعطي معلومة ضروررية لعنصر محدد في حركة القصة، و عن توقف قصة اللاحقة، تستأنف القصة الأولى مسارها من اللحظة التي توقفت عندها، و لواحق تامة " A. Completes"، و تكون دائما مرتبطة بالقصة الأولى[5]ص16.

2.1.1 – السوابق " Prolepses " :

هي حدث سرديّ يروي أو يثير أحداثا سابقة لأوانها، أو يمكن توقّع حدوثها [1]ص82،وبصياغة أخرى، هي القفز على فترة ما من زمن القصّة ،لاستشراف مستقبل الأحداث و التطلع إلى ما سيحصل من مستجدّات في الرّواية [4]ص132السوابق- أيضا- تداعي الأحداث

المستقبلية التي لم تقع بعد،و أستقبلها "الراوي" في الزّمن الحاضر، أو فيللّحظة ا لأنيّة للسّرد، وغالبا ما يستخدم فيها الصّيغ الدالّة على المستقبل [6]ص66.

و من حيث نسبة الاستعمال فيرى "جنيت" أنّ "السّوابق " أقلّ تداولا في السّرد من "اللّواحق " في الأدب العربي ، و يعدّها بمثابة الخطاب الرّسولي [1]ص106، و يميّز فيها نوعين : السّوابق المكرّرة وتقوم بدور الإخبار، مثل: الإخبار عمّا ستؤول إليه مصائر الشخصيّات[4]ص149 ، وتقوم" السوابق" بوظيفة الإخبار أو الإعلان، عندما تخبر صراحة بسلسلة الأحداث الّتي يشهدها السّرد في وقت لاحق ، ويتمّ التّركيز على كلمة "صراحة"، لأنّه إذا أخبرت "السّابقة" عن الأحداث بطريقة ضمنيّة، تتحوّل إلى مجرّد إشارة لا معنى لها في حينها، و نقطة انتظار مجرّدة من كلّ التزام اتجاه" القارئ" ، وفي هذا الصّدد ينبّه "جنيت" إلى الخلط بين الإعلانات الواضحة التّعريف، و بين التّمهيدات أو الفواتح التى تعتبر أداة الفن الكلاسيكي، ويبرزالفرق بين"الإعلان" و "التّمهيد" ،و ذلك بأنّ الأوّل يخبر صراحة بما سيأتي سرده مفصّلا[4]ص137 ،وأنّ الثّاني يشكّل"بذرة لا معنى لها" لا تكتسي دلالة إلّا في وقت لاحق، وبطريقة إرجاعيّة [1]ص106،ويمكن الإشارة إلى أنّ "اللّواحق" و"السّوابق" ظاهرتان أساسيّتان تفسحان المجال أمام"السّارد"للتّلاعب بمجرى الأحداث في القصّة أوالرّواية ،من خلال حركتي الذّهاب و الإياب ، على محور السّرد.

2·1 – المـدّة "Durée":

يتعامل"جنيت" في عنصر "المدّة" مع زمنين، هما: الزّمن القصصي ، و الزّمن الحكائي، باعتبار الزّمن الأوّل، هو الحيّزالمكاني الّذي تستغرقه الأحداث الحكائيّة في القصّة، و هو زمن مقيس بعد الصّفحات و السّطور ، فوحدته- إذن – مكانية، و باعتبار الزّمن الثّاني هو المدّة الزمنية التي استغرقتها الأحداث في الحكاية ،وهوالزمن الفعلي المقيس بالثواني، و الدقائق، والساعات، والشّهور،والأسابيع،والأيام، و السنوات، والقرون،فوحدته زمنية ، و هو ما يظهر صعوبة العلاقة بين الحكي و السّرد على المستوى "المدة" وصعوبة قياسها ، و هو ما يطرحه "جنيت" في الفصل الثاني (فصل المدة) من كتابة "Discours du récit in fig.lll" [2]ص78 ، و تطرح دراسة "المدّة" إلى جانب زمن القصّة و زمن الحكاية ، زمنا ثالثا وهو زمن ذاتي ، يتمثّل في الفترة الّتي تستغرقها قراءة القصّة ، وهي تختلف من شخص إلى آخر[1]ص122، حسب الاختلاف في القدرة الذّهنية و النّفسية والثّقافية.

إنّ تحديد العلاقة بين زمن القصّة و زمن الحكاية في هذا المجال ،هو قياس سرعة السّرد"Vitesse du recit" و هي سرعة متغيّرة ، لأنّ القصّة لا يمكن أن تكون خالية من آثار

للإقلاع الزّمني [1]123 ،فالسّاردلا ينقل كلّ الأحداث التّي وقعت في الحكاية مدّة ثلاث سنوات–مثلا- ، إلى القصّة أوالرّواية بنفس الوتيرة، لأنّه قد يهتمّ بفترة أو بفترات دون أخرى، فيطنب في سرد بعض الأحداث، ويوجز في بعضها الآخر، كما قد يحذف من الزّمن الحكائي أحداثا بأكملها، و لتحقيق ذلك يلجأ "السّارد " إلى توظيف ما يسمّيه "جنيت" الحركات السّردية الأربعة [1]ص129" les quatres mouvement naratifs " حركتان منها لتسريع السّرد،و تقليص زمنه، و هما: القصّة الموجزة"recit sommaire" والإضمار" ellipse"السّرد،و تقليص زمنه، و هما: القصّة الموجزة"recit sommaire" و الإضمار" ellipse" وحركتان لإبطاء السّرد، و تعطيل وتيرته، و هما الوقف " pause" و المشهد "scene" .

1 . 2 . 1 – القصة الموجزة :

يعرّف "جنيت" الموجز " sommaire " بأنّه سرد لما حدث أو جرى في عدّة أيّام، أو شهور، أو أعوام، في بضع فقرات ، أو في صفحات محدودة، أو في أسطر قليلة ، دون ذكر تفاصيل الأعمال، أوالأقوال [1]ص130، و يعرف –أيضا- بأنّه سرد أحداث تستغرق من الحكاية زمنا مديدا، في فقر لا تحتلّ من النصّ إلّا حيّزا محدودا[3]ص128 ، ففي " الموجز" مرور سريع على الأحداث، و إيجاز مركّز لمضمونها، أي : أنّ قيمة الأحداث فيه جانبيّة، و هو عامل من عوامل تسريع السّرد [8]ص103·

1 . 2 . 2 – الوقف أو الوقفة :

يعتبر "الوقف" أحد تقنيّتي تعطيل السّرد، و تقليص وتيرته، و يعرف –أيضا- بأنّه إيقاف أحداث الحكاية ، واستمرار القصّة بمادّة غير سردية، عن طريق الوصف (وصف الشخصيّات، أو وصف الأمكنة) ، أو التأمّلات، أوالتّحليل النّفسي[3]ص128.

1 .2 . 3– الإضمار :

يلعب " الإضمار " دورا حاسما – إلى جانب " الموجز"- في اقتصاد السّرد، و تسريع وتيرته ، وهو من حيث التّعريف ، تقنيّة زمنيّة ، تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصّة ، و عدم التطرّق إلى ما جرى فيها من وقائع ، و أحداث[4]ص156، و يشكّل الوجه الثّالث من وجوه الحركة السّردية ، ويتكوّن من حيث هو شكل من أشكال السرد القصصي ، من إشارات محدّدة ، أو غير محدّدة ،للفترات الزّمنية الّتي تستغرقها الأحداث في تناميها اتّجاه المستقبل، أو في تراجعها نحو

الماضي[8]ص128، كما يعرّف بأنّه إسقاط كليّ لحيّز من الأحداث القصصيّة، إنّه ثغرة في السّرد ،تعمّدها "السارد" لتغييب قسم من الحكاية [3]ص128، و بالنّسبة إلى "جنيت" فإنّه يطرح في دراسته

لتقنيّة "الإضمار" السّؤال التّالي :هل المدّة الزّمنية المحذوفة مذكورة (محدّدة) أم غير مذكورة (غير محدّدة)؟ [1]ص139، فإذا كانت المدّة الزّمنية المحذوفة مذكورة ، فإنّنا بصدد الإضمار المحدّد ، و إذا كانت المدّة الزّمنية المحذوفة غير مذكورة ، فإنّنا بصدد الإضمار غير المحدد ، و على أساس هذا التّحديد الأوّليّ ، يميّز " جنيت " ثلاثة أنواع من الإضمارات ، و هي :

1.3.2.1 – الإضمارات الصريحة " les ellipses explicites " :

و هي إسقاط زمني معلن ، يكون مرفقا بإشارات زمنيّة محدّدة ، مثل : و مضت عشر سنوات ، أو مضى شهران ، أو قبل ثلاثة أيّام ، و معنى ذلك أن يكون الحذف معلوم المدّة عند " القارئ " بكامل الدقّة ،فلا يجد أيّة صعوبة في اكتشاف القطعة المبتورة ، و يكون الإضمار الصّريح – أيضا – مرفقا بإشارات زمنيّة غير محدّدة ، أي : إشارات تقريبيّة إيمائيّة ، تحمّل " القارئ " مهمّة التّحديد ، أو التّلميح ، مثل : مضت سنوات عديدة ، أو في عدّة أشهر ، أو قبل ذلك بأيّام [1]ص130،140،141.

1 . 2 . 3 . 2 – الإضمارات الضمنية " les ellipses implicites " :

و هي الإضمارات غير المصرّح بها في النص ، ولا وجود لها فيه ، و يمكن للقارئ أن يستلهمها، ويستنبطها و من خلال الثّغرات على مستوى التّسلسل التّاريخي ، و من خلال انحلال التّواصل السّردي ، و هي إضمارات غير محدّدة ، يكشف عنها مجرى الأحداث ، لا صريح العبارة [1]ص140 .

ويعتبرهذا النّوع من " الإضمارات " من صميم التّقاليد السّردية ، المعمول بها في الكتابة الرّوائية،حيث لا يظهر الحذف في النصّ ،بالرّغم من حدوثه ، و لا تنوب عنه أيّة إشارة زمنيّة ، و إنّما على " القارئ " أن يهتدي إلى معرفة وضعه ، باقتفاء أثر الثّغرات ، والانقطاعات الحاصلة في التّسلسل الزّمني ، الّذي ينظّم القصّة، فالتّعقيد ، و الغموض الّذي يكتنف هذه الإضمارات ، يجعل أمر انتقائها وعرضها غير متيسّر، إلّا إذا فكّرنا بأشكال القفز الّتي تتعاقب على السّرد القصصيّ ، مثل : السّكوت عن فترة ما من حياة شخصيّة ، و وضعها جانبا ، ريثما يجري تقديم شخصية ، أو استعراض حدث طارئ [4]ص126.

3.3.2.1 – الإضمارات المفترضة " les ellipses hypothetétiques " :

و هي الشّكل الأكثر تضمينا للإضمار، أو الحذف ، إذ يستحيل تعيينه في مكان ما، و تكشف عنه لاحقة [1]ص140. إنّ الإضمار المفترض ليس صريحا مثل النّوع الأوّل ، و ضمنيّ بدرجة أكبر من النّوع الثّاني ، و يبحث " القارئ" عن سبيل الكشف عنه ، فلا يجد عبارة صريحة تحدّده ، و لا أحداثا تتضمّنه فيستند إلى منطقه ، فيفترض حصوله إلى ما قد يلاحظه من انقطاعات في الاستمرار الزّمني للقصّة ، مثل السّكوت عن فترة من المفترض أن تشملها الرّواية، أو إغفال الحديث عن جانب من حياة شخصيّة ما ، ولعلّ الحالة النّموذجية للحذف الافتراضي ، هي تلك البياضات المطبعيّة ، التّي تعقب انتهاء الفصول ، فتوقّف السّرد مؤقّتا ، أي: إلى حين استئناف القصّة من جديد لمسارها في الفصل الموالي [4]ص164.

4·2·1-المشهد:

يسمّي"جنيت" المشهد، حوارا " Dialogue" ، يعمل على إحداث تطابق ، أو تساو، بين زمن القصّة، و زمن الحكاية [1]ص129 ،ويكون " المشهد" عامّة حواريّا، لكونه -أساسا- محاكيا، يحقّق نوعا من المعادلة بين زمن القصّة ، و المدّة الواقعيّة [9]ص100 ،و فيه تتوالى الأحداث بكلّ تفاصيلها ، وأبعادها ، وهي أساسيّة و إبرازها له صفة تأسيسيّة لمسار القصّة [8]ص103.

و لمّا كان " الحوار" تمثيلا لما يحصل ، وليس فيه بالتّالي تصرّف [3]ص128فإنّ "الكاتب " يعرض كلام الشخصيّات كما هو، فلا يضفي عليه أيّ صبغة أدبيّة أو فنيّة ، وإنّما يتركه على صورته الشفويّة الخاصّة به ، فيفسح المجال واسعا أمامه للتعدّد اللّغوي، و تنويع أساليب الكلام، و اللّهجات ، الّتي تكشف تنويع أساليب الكلام، و اللّهجات ، الّتي تكشف للقارئ الطّبائع النفسيّة ، والاجتماعية للشّخصيات ، ومن خلال ذلك تتجلّى وظيفة " المشهد" ، متمثّلة في إحداث الأثر الدرامي ،الّذي يسهّل علينا فهم التطوّرات الحاصلة في الأحداث ، و في مصائر الشخصيّات[4]ص166،167.

1 . 3 - التّواتر: " fréquence "

ويطلق عليه " جنيت" اسم : التردّد القصصي " Fréquence narrative " ، الّذي يعني علاقة التردّد ، أوالتّكرار بين القصّة و الحكاية - أي الحدث الحكائي و مدى تكراره على مستوى القصّة [1]ص145،و يرى الباحث – أيضا – أنّ إمكانيّة التّكرار للأحداث المرويّة (الحدث الحكائي) ، على مستوى العرض القصصي ، ينحدر منه نظام ترابط ، يمكن تصنيفه إلى أربعة نماذج صوريّة :

سرد مرة واحدة ، ما حدث مرة واحدة ،
سرد (ن) مرة ، ما حدث (ن) مرة ،
سرد (ن) مرة ، ما حدث مرة واحدة ،
سرد مرة واحدة ، ما حدث (ن) مرة[1]ص146 ، وانطلاقا من التّحديدات الأخيرة ، يصنّف"جنيت" التّواتر إلى ثلاثة أنواع ، و هي :

1.3.1 – القصّة المفردة أو القصة الأحادية " Le récit itératif ou le récit singulatif "

و يضمّ هذا النّوع من القصّة ، الحالة الأولى و الثانية ، من حالات تصنيف " التّواتر" و هي : سرد مرّة واحدة ، ما حدث مرّة واحدة (1ق ، 1ح) ، و سرد (ن) مرّة ، ما حدث (ن) مرّة (ن ق ، ن ح) ، و في القصّة المفردة ، توافق فرديّة أو أحاديّة الملفوظ السّردي ، فرديّة أو أحاديّة الملفوظ الحكائي ، والأحاديّة هنا لا تعرف بعدد العرض ، طرف بطرف آخر ، و إنّما بتساوي هذا العدد ، أي : عدد ظهور الحدث في الحكاية ، و عدد ظهوره – أيضا – في القصّة ، سواء كان ذلك العدد فردا ، فيوافق الحالة الأولى (1 ق / 1ح)، و نمثّل لها بالملفوظ التّالي :« أمس نمت باكرا»،أو كان ذلك العدد جمعا، فيوافق الحالة (ن ق/ ن ح)، و نمثّل لها بالملفوظ التّالي :« الاثنين نمت باكرا ، الثّلاثاء نمت باكرا ، الأربعاءنمت باكرا،....إلخ » [1]ص146و يمكن الإشارة إلى أنّ " القصّ الأحادي " هو أكثر ضروب السّرد وجودا ، وبساطة في النّصوص القصصيّة ["]ص125.

2.3.1 – القصّة المكرّرة " Le récit répétitif " :

وينطبق هذا النّوع من القصّ ، على الحالة الثّالثة ، و هي : سرد (ن) مرّة ، ماحدث مرّة واحدة (ن ق / 1ح) ، أي : سرد عدّة مرّات في القصّة ، ماحدث مرّة واحدة في الحكاية ، و نمثّل له بالملفوظ الآتي : «أمس نمت باكرا ، أمس نمت باكرا ، أمس نمت باكرا...إلخ» وهي الحالة الأكثر استعمالا في القصّة المعاصرة [1]ص.147

3.3.1 – القصة المؤلفة " Le récit itératif " :

ويضم هذا النوع من القص ، الحالة الرّابعة من حالات " التّواتر" ، و هي: سرد مرّة واحدة ،ما حدث (ن) مرّة (1 ق / ن ح) ، و يرجع بنا إلى الحالة الثّانية ، المندرجة ضمن النّوع الأوّل (القصّة المفردة) ، سرد (ن) مرّة ، ما حدث (ن) مرّة ، و نتعرّف على هذا النّوع من القصّ بوجود عبارات ، مثل : " كلّ يوم " ، أو " كلّ أسبوع " أو " نمت باكرا كلّ أيّام الأسبوع "[1]ص147.

4.1 – الصّيغة "Mode" :

يتناول " جنيت " الصّيغة من خلال نقطتين أساسيّتين ، تنظّمان المعلومة السّردية ، و هما : المسافة "Distance " و المنظور "Perspective " . و يعرّف الباحث " الصّيغة " انطلاقا من معناها القاموسي " littré" ، بأنّها : «اسم يعطى لمختلف أشكال الفعل ، بدرجة أكثر ، أو أقلّ ، لتأكيد الشّيء » [1]ص183، فمعنى أقلّ : درجة بسيطة ، أي عدم التّفصيل ، و معنى أكثر : درجة قويّة ، أي : التّفصيل ، و التّدقيق ، و معنى الشّيء : المعلومة ، أي : كلّ ما يتّصل بالعمل القصصي ، من أحداث ، و شخصيّات ، و حوار فبإمكان القصّة أن تقدّم المعلومة السّرديّة للقارىء ، بأقلّ أو أكثرتفاصيل ، و ذلك من خلال " السّارد "الّذي يختار بدوره الأقلّ و الأكثر ، لينظّم المعلومات السّردية الّتي بحوزته ، حتّى يخلق نوعا من التّوازن ، لئلّا يكون في البناء السّردي خلل ، فنجده مفصّلا مدقّقا تارة ، و مختصرا تارة أخرى .

1.4.1 -المسافة :

ويقصد بها درجة حضور و غياب " السّارد " في القصّة[5]ص19، و ليضبط " جنيت " بين درجة حضور " السّارد " و غيابه، بحجم المعلومة السّردية، و طريقة تقديمها، يتحدّث عن نمطين سرديّين ، هما : قصّة الأحداث "Récit d’évènements "، و قصّة الأقوال " Récit des paroles" .

1.1.4.1 - قصّة الأحداث :

وهي القصّة الّتي تعتمد على تقنيّة السّرد ، أو العرض المباشر ، أي : فيها تركيز على سرد الأحداث ، و غياب كلام الشخصيّات والحوار فهي – إذن – سرد خالص[1]ص186 ، تتميّز بكثرة المعلومات السّردية ، و قلّة المعلّمين ، أو السّاردين[5]ص19.

2.1.4.1 - قصّة الأقوال : و يميّز فيها " جنيت " ، ثلاثة أنواع من الخطابات :

1.2.1.4.1 – الخطاب المسرود أو المحكي " Discours narrativisé ou rapporté " ويطلق عليه اسم : قصّة الأفكار ، أو الخطاب الدّاخلي المسرود " Récit de pensées ou discours intérieure narrativisé" ، و يكون فيه " السّارد " ، متدخّلا في نقل الكلام ،فلا نعرف بالتّحديد ما قالته الشخصيّة[1]ص191 .

2.2.1.4.1 – الخطاب المنقول إلى أسلوب غير مباشر " Le discours transposé au style indirect " و يكون فيه" السّارد " متدخّلا بدرجات ، و نميّز فيه نوعين من الكلام (كلام السّارد،وكلام الشخصيّة) ، فالسّارد لا ينقل كلام الشخصيّة نقلا حرفيّا ، فهو – إذن – غير أمين في نقله[1]ص191.

3.2.1.4.1 – الخطاب المحكي أو المباشر " discours rapporté , D.immédiat " : ينقل "السّارد" في هذا النّوع من الخطاب ، كلام الشخصيّات نقلا حرفيّا (كما تتلفّظ به) و يتمثّل هذا النّقل في "الحوار" [1]ص192،193.

2.4.1 – المنظور :

يعتبر " المنظور " العنصر الثّانيّ من عناصر تنظيم المعلومات السّردية [1]ص203، وهوما يعرف–أيضا – بالرّؤية ، وجهة النّظر، وهوما يسمّيه " جنيت " التّبئير ، أوالتّركيز "Focalisation" ، ونشير إلى أنّه قد شاعت قبل الباحث دراسات تناولت مصطلح التّبئير، تتمثّل في دراسة كلّ من : جون بويون "Jean pouillon " و "تودوروف " و لكن بسمات مغايرة ، و الجدول الآتي يوضّح ذلك [1]ص206:

جون بويون	تودوروف	جنيت
الرّؤية من الخلف vision par derrière	الرّاوي > الشّخصية	تبئير من الدّرجة الصّفر.
الرّؤية مع Vision avec	الرّاوي = الشّخصية	تبئير داخلي .
الرّؤية من الخارج Vision du dehors	الرّاوي > الشّخصية	تبئير خارجي

و يحدّد " جنيت " ثلاثة أنماط من القصّة :

1.2.4.1 – القصّة غير المبأرة : [1]ص206أو القصة ذات التّبئير من الدّرجة الصّفر " Récit non focalisé ou récit à focalisation zéro" ، تسرد فيها القصّة من زاوية معيّنة ، و فيها يتداخل التّبئيران : الدّاخلي ، و الخارجي .

2.2.4.1 – القصّة ذات التّبئير الدّاخلي: [1]ص206" Récit à focalisation interne "و يكون

السّارد في هذا النّوع مساويا للشّخصية في المعرفة و يفوقها ، فيسيّرالقصّة كما يريد ، من غير أن تتدخل الشّخصية ، والتّبئير الدّاخلي عند " جنيت" ، يكافىء الرّاوي يساوي الشّخصية عند " تودوروف" ، و هذا ما يعني أنّ " السّارد " يعرف ما تعرفه الشّخصية ، حيث يدخل إلى عالمها الخاصّ ، و يعرف ما تفكّر فيه ، و يعرف أحاسيسها ، أي يتناول السّارد الشّخصية من الدّاخل .

3.2.4.1 – القصّة ذات التّبئير الخارجي :[1]ص207" Récit à focalisation externe "و فيها تتحرّك الشّخصية ، دون أن ندرك أفكارها ، أو ما يجول بخاطرها .

5.1 – الصّوت " Voix " :

يتناول "جنيت" في عنصر" الصّوت " قضيّة الإلحاح السّردي ، و يشير فيه إلى تغيّر الأصوات على مستوى النصّ الواحد ، و يدرس زمن السّرد من خلال الأنواع السّردية ، و مستويات القصّة ، والسّارد (ين) ، و علاقتهم بالحكاية [5]ص20.

1.5.1 – زمن السّرد " Temps de narration " :

لقد حظي عنصر الزّمن عند " جنيت " باهتمام كبير ، حيث بنى جزءا كبيرا من رؤيته الشّكلية بناء زمنيّا ، فخصّه بثلاثة فصول كاملة (التّنافر، المدّة، التّواتر) من كتابه خطاب القصّة ، و يعود الباحث في هذا العنصر (زمن السّرد) إلى الزّمن ، ليثبت أولويّته على المكان ، فيرى بأنّه يمكننا أن نسرد قصّة، من دون أن نحدّد المكان الّذي جرت فيه الأحداث، سواء أكان هذا المكان قريبا أم بعيدا ، في حين لا يمكننا ان نلغي الزّمن في العمليّة السّردية، ذلك أنّه يجب أن نجعل للقصّة موقعا بالنّسبة للفعل السّردي، فتحكى في الحاضر، أوفي الماضي، أو في المستقبل،فالتّعريف الزّمني للقصّة أهمّ بكثير من التّعريف المكانيّ[1]ص228 ، و تناول"جنيت" عنصر الزّمن ، من خلال منظور السّرد، فأورد أربعة أنواع سرديّة: السّرد اللّاحق، والسّرد السّابق، والسّرد المتزامن، والسّرد المدرج [1]ص229.

1·1·5·1- السرد اللاحق "Narration ultérieure":

وهو أكثر الأنواع انتشارا و تداولا، و مجرّد توظيف الفعل الماضي كاف لتحديد نوعيّته من دون تحديد المسافة الزّمنية الّتي تفصل، أو تفرق زمن السّرد عن زمن الحكاية ، مع العلم أنّ الحكاية يمكن أن تكون مؤرّخة ، بخلاف السّرد [1]ص232 ،و في هذا النّوع من السّرد، تسرد الحكاية بعد اكتمال وقوعها تماما ، فزمن السّرد واقع منطقيّا بعد زمن الحكاية ، وهذه اللّحقية غير محدّدة للأحداث

الحكائيّة المعرّضة لتغيّرات وطوارئ مع مرورالزّمن مثل:النّسيان،أوالحذف أوتبدّل في الأحاسيس،والأفكار، والمواقف[3]ص149 .

2·1·5·1- السّرد السّابق"Narration antérieure":

وهو أقلّ أنواع السّرد انتشارا،و شيوعا، ويكون في شكل تنبّىء، فالسّارد يتنبّأ بما سيقع أوسوف يقع ، فيكون سرده في شكل مشروع أو، وعد أو رجاء، ويمكن إدراج القصص العلمي في هذا النّوع من السّرد، باعتبار أنّ مدارها من أمر المستقبل[3]ص149.

3·1·5·1- السّرد المتزامن "Narration simultanée

وهو أبسط انواع السّرد، و فيه يلتقي زمن القصّة، و زمن الحكاية (الحاضر)، و يلغي أيّ نوع من التّداخل، و عمليّة السّرد فيه متحرّكة، ذلك أنّ القصّة تسير في اتجاهين حسب الإلحاح السّردي :

-اتّجاه***لصالح الحكاية*** : وهو اتّجاه لا يعلن فيه " السّارد " عن نفسه ، و يكتفي بتقديم الأحداث مكثّفة.

-اتّجاه لصالح السرد : و يظهر فيه " السّارد" علانيّة ، فيتحدّث عن نفسه (أفكاره ، و مشاعره) ، منولوج داخلي " monologue intérieure " ، كما يسرد الأحداث مثلما يراها أثناء وقوعها [1]ص230.

4.1.5.1 – السّرد المدرج " Narration intercalée " :

وهو النّوع الأكثر تعقيدا من بين الأنواع السّردية السّابقة الذّكر، لأنّه متعدّد الإلحاح ، وقد تتداخل الحكاية و السّرد إلى درجة يؤثّر فيها الثّاني على الأوّل (السّرد على الحكاية) ، و هذا ما يحدث في رواية المراسلات " Epistolaire [1]ص229، حيث يتعدّد الرّواة (وجود اثنين على الأقلّ ،هما طرفا المراسلة) ، و يكون كلّ كاتب راويا [3]ص149.

2.5.1 – المستويات السّردية " Les niveaux narratifs " :

يتناول "جنيت" في المستويات السّردية نوعين من القصّة : القصّة الأولى " Premier récit " ، و يسمّي أحداثها ، أحداثا قصصيّة أو قصصيّة داخليّة " Diégétique , intra diégétique " [1]ص238،والقصّة من الدّرجة الثّانية" Récit au second degré "

و يطلق عليها " récit métagiétique " [1]ص238،239 ، و في هذا الصّدد يفرّق الباحث بين مستويين : المستوى الأوّل (السّرد من الدّرجة الأولى) ، والمستوى الثّاني (السّرد من الدّرجة الثّانية) ، فعندما يكتب الرّوائيّ قصّة ، أورواية ، يمثّل ذلك سردا من الدّرجة الأولى ، و إذا ما أخذ الكلمة داخل الرّواية شخصيّة أخرى، أوالرّاوي نفسه لسرد حكاية أخرى ، فذلك سرد من الدّرجة الثّانية،و تربط المستويين علاقة تكون إمّا تفسيريّة أوتكميليّة،أي:أنّ أحداث أحد المستويين تفسّر، أو تكمّل أحداث المستوى لآخر .

3.5.1 – السّارد (و ن) و علاقة (هم) بالحكاية :

يحمل هذا العنصرعلى القول أنّ سرد الحكاية يتولّاه سارد واحد ، أوعدّة ساردين ، فتتعدّد علاقة " السّارد " بالحكاية إلى علاقات . إنّ معرفة نوعيّة " السّارد " أو " السّاردين " تتمّ من خلال تحديد علاقة هذا السّارد بأمرين اثنين ، أوّلهما : تحديد علاقة " السّارد " بالمستويات السّردية ، و ثانيهما : تحديد علاقة " السّارد " بالحكاية ، و هو ما أكّده " جنيت " في قوله : « تعرف مكانة السّارد في كلّ قصّة ، بتحديد موضعه في المستوى السّردي (داخلي أو خارجي)، و في الوقت ذاته بتحديد موضعه في علاقته بالحكاية (غريب/ غير مشارك/ أو متضمّن/ مشارك)»[1]ص255 ،وانطلاقا من هذا التّعريف يتمّ تحديد أربع وضعيّات للسّارد ، وهي :

1.3.5.1 – سارد في الدّرجة الأولى غريب عن الحكاية :" extra diégétique hétéro diégétique "[1]ص252و في هذه الحالة يسرد " السّارد " قصّة من الدّرجة الأولى ، و يكون غائبا عن الحكاية الّتي يسردها .

2.3.5.1 -سارد في الدّرجة الأولى متضمّن في الحكاية : " extra diégétique Homo diégétique "[1]ص252: و في هذه الحالة يسرد " السّارد " قصّة من الدّرجة الأولى ، إلّا أنّه مشارك في أحداث الحكايةالتي يسردها ، أي : شخصية من شخصياتها .

3.3.5.1 – سارد في الدّرجة الثّانية غريب عن الحكاية :[1]ص252" Intra diégétique hétéro diégétique" وفي هذه الحالة يسرد " السارد " قصة من الدرجة الثانية و يكون غائبا عن أحداث الحكاية التي يسردها .

4.3.5.1 –سارد في الدّرجة الثّانية، متضمّن في الحكاية [1]ص252" Intra diégétique Homo diégétique " وفي هذه الحالة يسرد " السّارد " قصّة من الدّرجة الثّانية إلّا أنّه

مشارك في الوقائع (الأحداث الحكائيّة الّتي يسردها) .

2- ملخّص الرّواية :

إذا حاولنا تقديم ملخّص لرواية " الجازية والدّراويش "، فنقول إنّها رواية تسرد حكاية "الطيّب" الرّجل القرويّ السّجين،الّذي قيّده الدّرك ظلما إلى السّجن، بتهمة قتل أحد الطّلبة المتطوّعين الّذين أرسلتهم الحكومة إلى قرية "السّبعة " لتشييد القرية الجديدة و لبناء السّد ، وهو الطّالب المتحرّرمن قيود الماضي "الأحمر" ،و كان "الطيّب" قد عثرعليه ميّتا أسفل "المضيق" وكان قد راقص "الجازية " خطيبة "الطيّب" في "الزّردة" الّتي أقامتها "الدّشرة "، احتفالا بقدوم الطّلبة المتطوّعين ، و"الجازية " الّتي زعم أهل القرية أنّ " الطيّب" قتل الطّالب "الأحمر" غيرة عليها ، و انتقاما لشرفه – تضرب بجذورها في أعماق التّراث الشّعبيّ الجزائريّ ، فهي الفتاة الأسطورة ،الفائقة الجمال ، و الخارقة الذّكاء ، حسنها لا يوصف وبصيرتها لا تنفذ دائمة الشّموخ ، والصّمود، كلّ العيون تترصّدها و تترّقب افتراسها و لكن كلّ المحاولات كانت تبوء بالفشل،لأنّ"الجازية"شعب لا فرد :«الجازية ليست قيمة، هي شيءآخرهي مجموعة من القيم والرّذائل،هي حياة برمّتها»[10]ص19.

هذا و قد عقد "الأخضر الجبايلي " العزم على خطبة "الجازية "لابنه "الطيّب"، و حاول"الشّامبيط" تزويجها لابنه الّذي يدرس في أمريكا ، لقد ذاعت أخبارها في كلّ مكان ، حتّى في المهجر، الّذي تركه "عايد" بن" السّايح بوالمحاين " صديق "الأخضر الجبايلي" عائدا منه إلى" الدّشرة " لقد عشقها الجميع الصّالح والفاسد ، و الغنيّ و الفقير ، و المقيم و المغترب ، و المحافظ و المتحرّر، و المتعلّم و الأميّ ، والقرويّ والحضريّ ، حتّى الرّعاة و الدّراويش ، و لكن هيهات أن يتحقّق مبتغاهم ، فقد مسّ الضرّ كلّ من هويها أو نوى الاقتراب منها بحسن نيّة أو بسوء نيّة ، "فالأولياء" لا تغمض عيونها تحرسها ، فالطيّب سجن ظلما ، و"الأحمر"الطّالب المتطوّع قتل ، و "الشّامبيط" كاد و مكرحتّى لقي حتفه ، بعد أن سقط من على بلغة في الهاوية .

3 – تقسيم الرّواية:

إنّ البنية السّرديّة لرواية " الجازية و الدّراويش "على درجة من التّعقيد ، تجعل من التتبّع الزّمني الدّقيق لها أمرا يكاد مستحيلا ، و من ثمّة سنحاول أن نقارب النّظام الزّمني في الرّواية ، من خلال الفصول الّتي قسّمت إليها ، والّتي نطلق عليها : الوحدات السّرديّة ، مع إهمال لما يمكن أن يكون داخل الفصل الواحد من تلاعبات زمنيّة .

تتألف الرّواية من ثمانية فصول موسومة بـ: " الزّمن" ، جاءت مسرودة على التّناوب على النحو ا لآتي : الزّمن الأوّل / الزّمن الثّاني ، الزّمن الأوّل / الزّمن الثّاني ، الزّمن الأوّل / الزّمن الثّاني، الزّمن الأوّل / الزّمن الثّاني ، مع العلم أنّ الفصول الموسومة بالزّمن الأوّل ، و هي أربعة ساردها هو "الكاتب " يروي فيها قصّة "عايد" المهاجر ، كما تبدأ الرّواية بالزّمن الأوّل ، و تنتهي بالزّمن الثّاني . ويمكن اعتبار ما جاء به "الكاتب" بين كلّ زمنين أوّلين ، أو عقب كلّ زمن أوّل "فاصلا" أو "إشهارا" ، من شأنه أن يحدث في نفس " القارىء" جاذبيّة إلى الرّواية ، تجعله في علاقة وطيدة بها ، و في شوق مستمرّ لمتابعة أحداث الزّمن الأوّل الّذي يقدّم الأحداث والوقائع غامضة دون أدنى تفسير ، فمثل الزّمن الثّاني من رواية "الجازية و الدّراويش" مثل الفاصل الإشهاريّ ، في مسلسل، أو فيلم يقدّم معلومات تشوّق "القارىء " وتخلق فيه القلق ، و الإصرار على متابعة باقي أحداث الفيلم أو المسلسل ، كما تجعله يتساءل : كيف ستقع الأحداث بعد الفاصل ؟، و تجعله يتوقّع – أيضا – وقوع حدث دون آخر، و قد يقترح حلولا لعقدة ما ، في المسلسل،أو الفيلم ، ولعلّ ما دفع "الكاتب " إلى إدماج الزّمن الثّاني فيها بين الأزمة الأولى للرّواية هو التّداعي المكثف للماضي ، و الاسترجاع المتكرّر و بصفة متذبذبة للذّكريات ، الّتي تعدّ أحد المقوّمات السّياقيّة الرئيسيّة في تشكيل الرّواية ، فلولا وجود الزّمن الثّاني (الفاصل) ، لتسلّل الملل إلى نفس " القارىء " بسرعة ،ولا يعتبر الزّمن الثّاني"فاصلا" فقط ،و إنّما مكمّلا للزّمن الأوّل الّذي يسرد "الطيّب" أحداثه على شكل التفاتات ، تاركا "القارىء " في حيرة ، لا يزول غموضها إلّا بقصّة "عايد "الّتي يتضمّنها الزّمن الثّاني ، وهي قصّة مخالفة لقصّة "الطيّب" ومكمّلة لها . إنّ مهمّة "عايد " المهاجر في "الدّشرة "،و قد دخل "الطيّب" السّجن، بعد مقتل "الأحمر" ، تشبه كثيرا مهمّة "الطيّب" وهو في الزّنزانة يبحث عن السّبب الّذي سيق لأجله إلى السّجن، و ذلك "عايد" في"الدّشرة" يتحرّى عن مقتل الطّالب ، الّذي أجاب عنه موت "الشّامبيط" .

ويمكن تقسيم رواية "الجازية والدّراويش" إلى ثماني وحدات سرديّة ، بعدد الأزمنة الّتي جاءت فيها ، ويمكن تقسيمها إلى مقاطع زمنيّة وعددها : واحد وثلاثون مقطعا زمنيّا، وهو تقسيم قائم على أسس أهمّها : تغيّر السّارد ، وتغيّر الحدث ، والجداول ونوضّح ذلك فيما يلي:

الوحدة السّرديّة الأولى :تتضمّن أربعة مقاطع زمنيّة .

- يبدأ المقطع الأوّل من الصّفحة السّابعة :«أدار السجّان مفتاحا غليظا في القفل »، وينتهي في الصّفحة العاشرة:« ثمّ أراه يقودني إلى الدّركي ».

- يبدأ المقطع الثاني من الصّفحة العاشرة :«أنظر من جديد إلى الألفات المنقوشة على الحائط»،وينتهي في الصّفحة الرّابعة عشر:«ثمّ جاء الشّامبيط ليقودني إلى الدّركي».

- يبدأ المقطع الثالث من الصّفحة الرّابعة عشر:«أقوم من مكاني أمسك القضبان مجدّدا»،و ينتهي في الصّفحة الثامنة عشر :«غلبت مشاريعه حبّي».

- يبدأ المقطع الرّابع من الصّفحة الثامنة عشر :«قصّتي تحكى بكلمة وأنا أحكيها بآلاف الكلمات»،وينتهي في الصّفحة السّادسة والعشرين :«الجازية ،يا الجازية».

الوحدة السّرديّة الثّانية :تتضمّن أربعة مقاطع .

- يبدأ المقطع الأوّل من الصّفحة السّابعة والعشرين:«وصلت أخبار الجازية إلى المهجر»،وينتهي في الصّفحة التّاسعة والعشرين :«الجازية حلم وهو الحالم ».

- يبدأ المقطع الثاني من الصّفحة التّاسعة والعشرين :«جاء إلى الوطن بسيّارة فخمة ،ضخمة»،وينتهي في الصّفحة التّاسعة والثلاثين:«بعد أن انتهى الرّاعي من العزف».

- يبدأ المقطع الثالث من الصّفحة التّاسعة والثلاثين :«عين جارية ، أشجر من كلّ نوع »،وينتهي في الصّفحة الثانية والأربعين :«أقبلت الفتاة صاحبة الوجه الصّبيح في مقدّمة النّساء ، كباقة ورد قدّمتها له الدّشرة المعطاء».

- يبدأ المقطع الرّابع من الصّفحة الثانية والأربعين :«تابع عايد الطّريق الضيّق الملتوي»،وينتهي في الصّفحة الرّابعة والخمسين :«وتعرّف على جهة من جهات الدّشرة» .

الوحدة السّرديّة الثّالثة :تتضمّن خمسة مقاطع زمنيّة .

- يبدأ المقطع الأوّل من الصّفحة الخامسة والخمسين :«الشّاعر لم يعد ، قال السجّان :سيقيم أسبوعا بالمستشفى»،وينتهي في الصّفحة الثامنة والخمسين :«أصبح الغيب شفّافا لا تخفى خفاء وراءه الأحداث المقبلة».

- يبدأ المقطع الثاني من الصّفحة الثامنة والخمسين:«ثمّ جاء الطّلبة »،وينتهي في الصّفحة الثالثة والسّبعين :«إذا أرادت رفيقتكم أن تكون معكم فهي أعرف بما يصلح لها ...».

- يبدأ المقطع الثالث من الصّفحة الثالثة والسّبعين :«كلام أبي جعل حدّا لأيّ تعاون مقبل»،وينتهي في الصّفحة التّاسعة والسّبعين :«وما إن دخلنا الدّار حتّى داهمتني حمّى من النّوع الممتاز ، حمّى الباليوديزم».

- يبدأ المقطع الرّابع من الصّفحة التّاسعة والسّبعين :«نشطت الحياة في الدّشرة»، وينتهي في الصّفحة الثالثة والتّسعين :«وهي الفتاة الأسطورة في الأباء».

- يبدأ المقطع الخامس من الصّفحة الثالثة والتّسعين :«تتكثّف سحب الماضي في نفسي»،وينتهي في الصّفحة الرّابعة والتّسعين :«أمتدّ على سريري القذر وأغمض عيني».

الوحدة السّرديّة الرّابعة :تتضمّن ثلاثة مقاطع زمنيّة .

- يبدأ المقطع الأوّل من الصّفحة الخامسة والتّسعين:«عايد مستلق على قفاه،بالقرب من الصّفصاف»،وينتهي في الصّفحة مائة:«يتذكّر جيّدا ذلك الحسن الّذي فاض من وجهها ،ملأ المكان».

- يبدأ المقطع الثّاني من الصّفحة مئة :«هو في أفكاره تلك ،وإذا بالرّاعي يقف عند رأسه »،وينتهي في الصّفحة الخامسة ومائة :«لم تعد هناك أيّ متعة في البقاء بهذا المكان».

- يبدأ المقطع الثّالث من الصّفحة الخامسة ومائة :«وكأنّ حركة الصّعود ،أنسته في التّدخين»،وينتهي في الصّفحة الثّامنة عشر ومائة :«لم يشعر عايد بخروجها ،إلّا عندما سمع الباب يغلق وراءه ...».

الوحدة السّرديّة الخامسة:تتضمّن ستّة مقاطع زمنيّة .

- يبدأ المقطع الأوّل من الصّفحة التّاسعة عشر ومائة :«أغلق الباب بعنف»،وينتهي في الصّفحة الواحدة والعشرين ومائة :«أشعر بالدّوار... هل أنا مريض ؟□».

- يبدأ المقطع الثّاني من الصّفحة الواحدة والعشرين ومائة :«تنطوي المسافات و الفضاءات والذّكريات»،وينتهي في الصّفحة الثّالثة والعشرين ومائة: «هناك ن يفكّر مكاني ...رأسي في عطلة».

- يبدأ المقطع الثّالث من الصّفحة الثّالثة والعشرين ومائة :«قرية كاملة اهتزّت من أقصاها»،وينتهي في الصّفحة السّابعة والعشرين ومائة :«عندما يكون المرء ليس عنصرا في المأساة ولا ممثّلا لدور ، فهو متفرّج غبيّ».

- يبدأ المقطع الرّابع من الصّفحة السّابعة والعشرين ومائة :«محكمة : محكمة سيّدي الرّئيس...»،وينتهي في الصّفحة التّاسعة والعشرين ومائة:«قلت في نفسي : الكلبة إنّها تحبّه».

- يبدأ المقطع الخامس من الصّفحة التّاسعة والعشرين ومائة:«قطع أفكاري الشّاعر»،وينتهي في الصّفحة الثّامنة والثّلاثين ومائة :«انكمش في زاوية الحجرة وراح يدخّن».

- يبدأ المقطع السّادس من الصّفحة الثّامنة والثّلاثين ومائة :«ذكّرني انكماشه في صافية»،وينتهي في الصّفحة الخمسين ومائة :«... هي النّطقطة الأولى في هذا الطّريق المضيء».

الوحدة السّرديّة السّادسة :تتضمّن مقطعين سرديّين.

- يبدأ المقطع الأوّل من الصّفحة الواحدة والخمسين ومائة :«مجنونة□،من هي المجنونة ؟□، الجازية□»، وينتهي في الصّفحة السّابعة والستّين ومائة :«... لكنّها لا تستطيع البوح بذلك أمام أمّها».

- يبدأ المقطع الثّاني من الصّفحة السّابعة والستّين ومائة :«خرج متّجها نحو بساتين القرية»،وينتهي في الصّفحة التّاسعة والسّبعين ومائة :«غادر الدّرويش ونفسه تحرّق شوقا إلى تلك اللّحظة العذبة الّتي قد يرى فيها الجازية».

الوحدة السّرديّة السّابعة :تتضمّن أربعة مقاطع زمنيّة .

- يبدأ المقطع الأوّل من الصّفحة الواحدة والثّمانين ومائة :«عبث□،لم أحبّه ...»،وينتهي في الصّفحة الثّالثة والثّمانين ومائة :«إنّهم يظنّون أنّ هذه الفترة كافية لإعادتي إلى الطّريق المستقيم».

- يبدأ المقطع الثّاني من الصّفحة الثّالثة والثّمانين ومائة :«فتح السجّان الباب ،وقال: امرأة اءت لزيارتك ، هيّا معي »،وينتهي في الصّفحة التّاسعة والثّمانين ومائة :«وقفت وضغطت على يدي بحرارة وقالت مودّعة : إلى اللّقاء».

- يبدأ من الصّفحة التّاسعة والثّمانين ومائة :«عدت إلى الغرفة منتشيا بهذا اللّقاء...»،وينتهي في الصّفحة السّابعة والتّسعين ومائة :«...صرت في هذا السّجن لا أفهم شيئا».

- يبدأ المقطع الرّابع من الصّفحة السّابعة والتّسعين ومائة :«لمّا أومأني سكتّ وامتددت على سريري»،وينتهي في الصّفحة الثّامنة والتّسعين ومائة :«...لكن لا أدع الأحلام السّوداء تعود إلى رأسي مرّة أخرى ، صافية ستعود».

الوحدة السّرديّة الثّامنة :تتضمّن ثلاثة مقاطع زمنيّة .

- يبدأ المقطع الأوّل من الصّفحة التّاسعة والتّسعين ومائة :«اشرأبّت الأعناق تتنسّم أخبار

الجازية»،وينتهي في الصّفحة الثّامنة ومائتين:«لحظات جدّ متوتّرة تعيشها رحبة الجامع».

- يبدأ المقطع الثّاني من الصّفحة الثّامنة ومائتين :«وإذا براعي السّبعة ويقبل لاهثا مستصرخا النّاس...»، وينتهي في الصّفحة الثّامنة ومائتين :«إبنه سوف يعود إلى أمريكا ، المدرسة وطن ثان».

- يبدأ المقطع الثّالث من الصّفحة الثّامنة والعشرين ومائتين :«كان مستندا على حجر ملتصق بالجامع حائرا»، وينتهي في الصّفحة الواحدة والعشرين ومائتين :«...معلنا أنّ هذا البيت يعيش حدثا عظيما».

1-التنافر الزّمني في رواية الجازية والدّراويش :

يبدو من الفاتحة الّتي جيء بها بعد عنوان الرّواية مباشرة :" قبل ميلاد الزّمن ، و مع ميلاد الزّمن "،ومن خلال تسمية فصول الرّواية : " الزّمن الأوّل ، والزّمن الثّاني "أنّ " الجازية والدّراويش " تتّخذ من الزّمن موضوعا أساسا لها ، وهو موضوع الصّراع بين الماضي ، والحاضر ، والمستقبل .

لم يتّبع الكاتب"عبد الحميد بن هدّوقة " ترتيبا زمنيّا واحدا في سرد أحداث الرّواية (الجازية والدّراويش) ، فنجد ونحن نتتبّع أحداث الرّواية توزيعا زمنيّا مختلفا، وذلك من خلال تقديم أحداث سرديّا ،من شأنها أن تؤخّر زمنيّا، وتأخير أحداث أخرى،كان لها أن تتقدّم، و انطلاقا من ذلك تكمن خصوصيّة زمن القصّة الّتي تتمثّل في إعادة تشكيل زمن القصّة وفق نظام خاصّ يختاره السّارد.

ينطلق "السّارد "من الحاضر، الّذي يمثّله وجود " الطيّب " في السّجن ، ثمّ ينتقل إلى الماضي إلى موت " الأحمر " (وهو الحدث ما قبل الأخير في ترتيب أحداث الحكاية ، ووقع قبل دخول " الطيّب " إلى السّجن) ، ثمّ حدث مجيء الطّلبة المتطوّعين (وهوحدث متقدّم كثيرا عن الحدث السّابق في الحكاية) ، ثمّ يعود "السّارد " بعد ذلك إلى حاضر السّرد (الطيّب في السّجن) ، و لا يلبث أن يعود إلى زمن الوقائع ، من خلال استرجاعه لمشروع القرية الجديدة (هو أوّل حدث وقع في الرّواية ، و ليس ببعيد عن حدث توزيع الطّلبة المتطوّعين على بيوت القرية ، وهو ثالث حدث وقع في الحكاية) ، و بعد ذلك يستقرّ " الطيّب " في استرجاعه للماضي على ثلاثة أحداث متوالية ، أي : كما حدثت متوالية في الحكاية ،وهي توزيع الطّلبة المتطوّعين على بيوت القرية ، التقاء " الطيّب " بـ : "الجازية" ، رقص" الأحمر" في الزّردة الّتي أقامتها دشرة " السّبعة " احتفالا بقدوم الطّلبة المتطوّعين ، و يبقى " الطيّب " في الماضي فيستذكر حدث رقص" الأحمر" (وهو حدث بعيد جدّا عن زمن القصّة) ، ثمّ يرجع " السّارد " من خلال " الطيّب " إلى حاضرالرّواية المتمثل في : حدث" الطيّب " في المحكمة ،" الطيّب " و " الشّاعر " في السّجن ، ثمّ يقفز إلى حدث اختفاء الطّالب "

الأحمر"،ويعتبر بدوره حدثا بعيدا عن زمن القصّة، و في نهاية الرّواية يستقرّالسّرد على الأحداث التّالية : " الطيّب " و " الشّاعر " ، " الطيّب " و " صافية " ، " الطيّب " و " الشّاعر " ، " الطيّب " في السّجن .

تنقسم الرّواية إلى ثماني وحدات سرديّة ، أربع منها تمثّل الأزمنة الأولى للرّواية ، والأربع الأخرى تمثّل الأزمنة الثانية ،ولتسهيل التّنافر الزّمني في رواية " الجازية و الدّراويش " ، تمّ التطرّق إليه في كلّ وحدة سرديّة على حدة ، و تمّ الربط بين كلّ وحدة و أخرى أثناء التّحليل ،بإبراز اللّواحق والسّوابق ، و توضيح وظيفتها.

1.1-التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّرديّة الأولى :

1.1.1- التّنافر الزّمنيّ في المقطع الأوّل :

لقد وظّف" عبد الحميد بن هدّوقة" تقنيّة الابتداء من النّهاية، وهي تقنيّة تنبثق منها وظيفة تعقيد الحدث، فيقدّم " الطيّب " وهو في السّجن (آخر حدث وقع في الحكاية) . إنّ هذه البداية هي النّقطة الصفر التي تستدعيها عملية مقارنة ترتيب الأحداث في الخطاب السردي ، قصة كان أم رواية ، بنظام ترتيب الأحداث ، و هي النقطة التي يتفق فيها الزمنان (الحاضر و الماضي) ، و يغلب على هذا المقطع الزمن الحاضر ، فقد تم فيه إحصاء ثمانية و عشرين فعلا مضارعا : « يغلق ينصرف ، أجلس ، أفكر ، أقيم ، أفكر ، أدعى ، أفكر ، أتأمل ، أتأمل ، أحاول ، أفكر ، أقتلع ، أعد أتلهى ،يخلط، أقوم ، أمسك ، أدفعها ، أجذبها ، يناديني أعود ، أجلس ، تقابلني ، أحاول ، أتلهى » [10]ص7،8،9،بالإضافة إلى وجود عبارات ، تجمع بين الماضي ، و الحاضر ، تذيب الأول في الثاني ، فتجعلها زمنا واحدا هو الحاضر :« ما الفرق بين القرية و السجن ؟ الشامبيط هناك ، و الحارس هنا » [10]ص9 ، كما توجد عبارات أخرى جمعت بين ما يدل على الحاضر (الفعل) ، مصحوبا بما يدل على الماضي (الاسم) ، تم عدها فيما يدل على الزمن الماضي ، لأنّ الاسم أقوى من الفعل . لقد جعل السّارد الفعل للدلالة على الحاضر،والاسم للدلالة على الماضي ، ليغلب الثاني على الأوّل ، فيصيرلاحقة : «تقوم الذكريات ، تضع أمامي القرية ، و الصفصاف ، العين ، و الفتيات ، جامع السبعة ، و الدراويش ، الطالب صاحب الحلم الأحمر ، و الجازية ، أرى أمي ، أرى مناجل الفلاحين ، و الدروايش أرى الشّامبيط آتيا إلى الدشرة مع المتطوعين ، ثم أراه يقودني إلى الدرك »[10]ص9،10 .

إنّ " الطيب "، لم يقدم " الطيّب" من خلال عودته إلى الماضي سوى نفحة من نفحات ذاكرته ، التي لا شكّ في ثرائها ، فقد اكتفى في ذلك بذكر أسماء شخصيات ، دون ذكر وظائفها ،

و ذكر حدث دون ذكر سببه ، و المقصود بهذا الأخير حدث اقتياد " الطيب من قبل " الشامبيط " إلى الدرك ، و ذلك لتشغيل فكر " القارئ " ، و إثارة التساؤلات في ذهنه ، وتشويقه إلى إيجاد الأجوبة التي لا تتسنى له إلا بمتابعة ما يلي من الأحداث ، و فضلا عمّا سبق نسجّل لاحقة خارجية ، وظيفتها توضيح سابقة داخلية ، و هي قول " الطيب ": « معلم الكتاب قال لـنا ذات يوم : الألف عصا لمن عصى »[10]ص9، إنّها لاحقة تفسّر الألفات الموجودة على جدران السجن ، الذي لم يدخله " الطيب " إلا في المستقبل ، بالقياس على الزّمن الّذي قال فيه معلّم الكتّاب ما قاله ، ونشير إلى أنّ اللّاحقة المذكورة آنفا خارجيّة ، لأنّها تقع خارج نقطة مدى الرّواية ،الّتي تحدّد زمنها بين ما " بعد موت الأحمر " ، و ما قبل " موت الأحمر" .

2.1.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّاني :

يبدأ هذا المقطع بالزّمن الحاضر ـ بعد أن انتهى المقطع الأوّل بالماضي -:« أنظر من جديد إلى الألفات المنقوشة على الحائط المقابل، أراها متساوية متتابعة تتابع المساجين أثناء الحركة الرياضيّة اليوميّة»[10]ص10، محاولا بذلك إذابة المستقبل في الحاضر، الّذي ليس سوى امتداد للماضي:«أحاول أن أمسح ببصري الجدران من كلّ رسومها لأرسم القرية »[10]ص10.

ويعتمد السّارد في عودته إلى الماضي على لسان " الطيّب" ،على تقنيّة التّقطيع الّتي تجعل التّداعي متذبذبا ومشوّشا لأفكار " القارئ" ، حيث يستحضر " الطيّب"على غير مـا وقعت عـليه في الحكاية ،فنجد في هذا المقطع يستحضر " الجازية " وحبّها ، ثمّ يقطع هذا الحدث بذكر ابن " الشّامبيط "، فالطّالب "الأحمر" ليعود مرّة أخرى إلى استرجاع " الجازية " و لقائه معها ، ثمّ يسترجع ما تعلّق بابن " الشّامبيط" وقدوم الطالب " الأحمر ، لينتهي هذا المقطع ، بحيث إقتياد " الطيب " إلى الدرك من قبل " الشامبيط " ، ويعزّعلى " الطيّب" وهو يسترجع مقتل الطّالب "الأحمر" أن يعلم " القارئ " بسبب قتله ،أو كيفيّة موته ، وقدّم له بدل ذلك عدّة احتمالات لموته ليحيّره ،ويشوّش على ذهنه معرفة الحقيقة ، و يجبره على تتبّع الأحداث : « يدوّى النّبأ في سمعي ،مات الطّالب الدّرويش! ، عثر على جثّته أسفل – عين المضيق -، دفعه مجهول ،أو عثر...سقط على صخرة» [10]ص10. إنّ الذّاكرة المسترجعة من قبل " الطّالب " لا تسير على وتيرة واحدة ، ولا على خطيّة ثابتة، فنجده وهو يستعيد ذكرياته، يخلط بين الأحداث فيقدّم أحداثا كان لها أن تتأخّر في الواقع، ويؤخّر أخرى كان لها أن تتقدّم ، كما يكرّراستذكار أحداث أوردها من قبل(في المقطع الأوّل)، و ذلك ليؤكدها في ذهن"القارئ"،كتلك المتعلقة بالجازية، و الطالب" الاحمر"، هذا الحدث الذي يكرّره في كلّ مرّة، دون ذكرأسبابه ، وهي لواحق مكرّرة، تتمثّل فيما يلي :

- « عند الصّفصاف ذات عشيّة ، أتتذكّرين؟ ،كانت آخر عشايا عطلتي الصيفيّة بالدّشرة، تعارفنا عنده طفلين، أتتذكّرين؟ ،يوم أن كان الشّامبيط والسّوط لفظين لكلمة واحدة ،كنت صغيرة و كنت صغيرا، كنت صغيرة، رغم عمر آلامك الطّويل الممتدّ في أعماق الماضي »[10]ص13.

- «ثمّ جاء الطّالب صاحب الحلم الأحمر »[10]ص14.

- « ثمّ جاء الشّامبيط ليقودني إلى الدّركي ، الّذي وضع القيد في يـدي ، و قـال : " القانون "»[10]ص14 ،بالإضافة إلى لاحقة داخليّة غريبة عن الحكاية ، تتمثّل في الآية القرآنية الّتي خطرت بذهن " الطيّب " ، وهي قوله: " تخطر بذهني آية عظيمة من قرآن عظيم :« لها ما كسبت،وعليها ما اكتسبت » [10]ص11،وتجدر الإشارة إلى أنّ مثل هذه اللّواحق تعدّ فسحة تريح ذهن " القارئ " من التّداعي المتكرّر،والمتذبذب للماضي .

3.1.1-التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث :

يعود في مطلع هذا المقطع كلّ من زمن الحكاية ، و زمن الرّواية إلى الإتّحاد ، بعودة " الطيّب " إلى حاضره المتمثّل – دائما – في السّجن:« أقوم من مكاني أمسك القضبان مجدّدا »[10]ص14، إلّا أنّه سرعان ما يختلف الزّمنان (زمن الحكاية و زمن القصّة)، ليفسحا المجال أمام الذّكريات حتّى تتداعى على "الطيّب" وتلازمه ،و تثقل كاهله ، وفي بداية هذا المقطع يقطع حاضره بسابقة خارجيّة ، تحضّر "القارئ" و تهيّئه لما سيحدث:«القرية الجديدة ينبغي أن تبنى »[10]ص14، يليها الحوار الّذي جرى بين " الطيّب" وأفراد عائلته (أبوه، أمّه، أخته):«قال ذات يوم ، و نحن نتحدّث عن القرية الجديدة :« لو أكون في السّماء ، لكفاني أن أغمض عينيّ، لأجد نفسي هنا في الجبل ، أنت و أمثالك لا تفهمون شيئا لحياتنا..للإنسان جذور تربطه بالأرض كالشّجرة ، هل يمكن لشجرة أن تحيا بلا جذور ؟!، أجابت أمي : لا أبدا . أجابت أمّي : الشّجرة لا تهرب من عروقها»[10]ص15وهو عبارة عن سابقة داخليّة ، تنبىء بفشل مشروع القرية الجديدة بسبب تمسّك سكّان " الدّشرة " بعروقهم ، وعلى رأسهم " الأخضر بن الجبايلي " و في الحوار السابق الذكر ، نجد سابقة داخلية – أيضا - ، تكشف عن استعداد فئة من القرويّين ، لبناء القرية الجديدة ، كما تكشف عن أحلامهم في التحرّر من قيود الماضي ، وعلى رأسهم " حجيلة أخت "الطيّب " ، و هي قوله هذا: « تكلّمت حجيلة أختي : أنا أعاونك في البناء ، أعدّ الأكل ، أسقي الماء ، أقوم بكلّ الأعمال الّتي لا يقوم بها الرّجال ، عندما يتمّ بناؤها ، نذهب نحن أوّلا ، ثمّ عندما تأخذ حياتنا مجراها الطّبيعي ، تلتحقان بنا (تعني أبوينا)، أنا كرهت كلّ شيء في هذه الدّشرة ،حتّى نفسي»[10]ص15، و نسّجل

فضلا عمّا سبق ذكره لاحقة خارجيّة جزئيّة ، توضّح ما جاء في السّابقتين آنفا ، تتمثّل في قول " الأحمر"المسترجع من قبل " الطيّب " : «الطّالب صاحب الحلم الأحمر ، قال ذات يوم متحدّثا عن السكّان : إنّ رؤوسهم جدّ صغيرة ، لو وضعت أفكار كبيرة انفجرت »[10]ص17، و إلى جانب ذلك نحصي لاحقتين خارجيّتين، يسترجع بهما " الطيّب" ما كان بينه وبين " الجازية " من عواطف ، تتضمّنان – بدورهما – سابقتين داخليّتين ، تعلنان عن العهد المقطوع بين الطّرفين ، و هما:«و خاصّة منذ أن قالت لي الجازية: الصفصاف يشهد على أنّي أحبك»[10]ص17، « قلت لها : حبّي أنا إليك لا ينضب ، كهذه العين الّتي تسقي الصّفصاف ، سأسقي كلّ لحظة من حياتك ، بفيض من الحنان متجدّدا أبد»[10]ص17،18،وينتهي المقطع الثّالث بلاحقة خارجيّة وهي قول " الطيّب " : «غلبت مشارعه حبّي »[10]ص18. إنّ " الطيب " في هذا المقطع ، يسرد الأحداث – على غرار المقاطع السّابقة – بطريقة مفتّتة ، حيث يعرضها متناثرة هنا وهناك ، حتّى ليصعب على " القارئ " جمعها ، وفهمها .

4.1.1- التّنافر الزّمني في المقطع الرّابع:

يبدأ هذا المقطع بالزّمن الحاضرالّذي يحتضن ذكريات " الطيّب " ، و لا يضيق بها ، و يكاد يمتزج بماضيه امتزاجا:« قصّتي تحكى بكلمة ، لكن أنا أحكيها بآلف الكلمات ... أرويها لهذه الجدران ... أحكيها كهذه المتتالية [10]ص18، فقصّة " الطيب " وقعت أحداثها في الماضي ، وهو يسترجعها الآن، ويرويها لحاضره المرّ،المتمثّل في الزّنزانة الّتي ليست سوى امتداد للماضي ،ونحصي في هذا المقطع عددا من اللّواحق والسّوابق ،نعرضها فيما يلي :

- « بالأظافر نقش أيّامه بالسّجن ، قال ذلك ، و أضاف : كان عنيفا مع نفسه»[10]ص19: لاحقة داخليّة غريبة عن الحكاية .
- «بدل ذلك أرحل الدّشرة بحجارتها، و رجالها ، بزوابعها ، و شعاشعها ، وسبعتها ، بالأحمر صاحب الحلم الأحمر » [10]ص19:لاحقة خارجيّة ، يعيد " الطيب " – من خلالها – استذكار أشياء قد تذكّرها من قبل ، قصد ترسيخها في ذهن " القارئ " ، وهي لاحقة تشبه اللّاحقة الّتي وردت في المقطع الأوّل :« تقوم الذّكريات في نفسي ، تضع أمامي القرية ، و الصّفصاف ،العين والفتيات ، جامع السّبعة والدّراويش،الطّالب صاحب الحلم الأحمر والجازية » [10]ص9.
- « قادني الشّامبيط ، و سلّمني للدّركي ، وضع هذا القيد في يدي ، وقال :القانون »[10]ص20 ، لاحقة خارجيّة ، تعيد التّذكير بحدث اقتياد " الطيّب " إلى السّجن ، (و هو حدث ذكر من قبل) ،تبرز مدى تأثيره ه في نفسه .

- «تؤلمني أكثر ذكريات الجازية ، انتهت الحرب ، احتفلت القرية بالعائدين من الموت ، الجازية كانت في المهد لدى احدى القرويّات الفضليات ، عائشة بنت سيدي منصور » [10]ص23: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، ذات وظيفة إعلاميّة ، تقدّم بعض المعلومات المتعلّقة " بالجازية " .

- « ماتت أمّ الجازية أثناء الوضع ، أبوها لم يعد من الحرب ، رفاقه قالوا : قتل بألف بندقيّة ، لم يكن شخصا ، كان شعبا» [10]ص24: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات عن والد ووالدة "الجازية" .

- «لكن الشّامبيط قال لهم: إنّ هؤلاء الطّلبة أرسلتهم الحكومة »[10]ص21: لاحقة خارجيّة تامّة، و ظيفتها إتمام السّرد المتعلّق بالقرية الجديدة .

- « لم يكن يريد منها بتولتها فقط ، كان يريد أن يتوّج اسمه بهالة النّور، التّي صنعتها بندقيّة أبيها ودماؤها ، يريد مسح عارالشنبطة عن جبينه ، كما قال السكّان»[10]ص25: سابقة ذات وظيفة إعلاميّة ،تخبر بغاية " الشّامبيط " من " الجازية " .

- « قال لهم مرغّبا و مرهّبا: إن واصلت رفضها ، واصلت شقاءها ، و شقاء الدّشرة» [10]ص26:سابقة داخليّة ، تنبئ بحصول شيء رهيب في " الدّشرة " .

- « قال له ناصحا : حذارمن البقاء في أمريكا ، أمريكا لا تحبّ الخدم ، تحبّ السّلاطين ، بإمكانك أن تصبح سلطانا إذا اقترنت بالجازية »[10]ص26:سابقة خارجيّة ، تؤكّد ما جاء قبلها.

- «ماتوا قبل أن يصلوا إلى الباب كما قال السجّان ...» [10]ص23: لاحقة خارجيّة متمّمة ، تسدّ فجوة في السّرد .

- «قلت في نفسي : سوف يتّضح هذا الأفق لا محالة ، عندما ينقشع الغيم المتراكم عبر القرون على قمّة الجبل، لكنّ المؤسف أنّني لن أراه...» [10]ص22: سابقة خارجيّة ، تعلن عن قناعة " الطيّب " بمعرفة الحقيقة بعد فوات الأوان (دخوله السّجن)، الحقيقة المتمثّلة في إيجاد أجوبة على الأسئلة التّالية : « لماذا جاء الأحمر ؟، لماذا عشقته الجازية؟،لماذا الشّامبيط حاضرفي البداية والنّهاية؟ ، لماذا تحمّس لبناء السّد ؟» [10]ص20.

و تجدر الإشارة إلى أنّ " الطيّب " ، أعاد في هذا المقطع الأخير من الوحدة السّردية الأولى من الرّواية، استرجاع أحداث قد ذكرها فيما سبق من المقاطع ، ناهيك عن بعض الاسترجاعات الجديدة، الّتي لا تخدم تطلّعات " القارئ"، المتشوّق لمعرفة تفاصيل الأحداث، فالطيّب – إذن – يسترجع الماضي، ويكرّره،ثمّ يتخلّله بذكر لاحقة، أو سابقة دون أدنى تفسير لها، ذلك ليجرّ

" القارئ"إلى تتبّع الأحداث ويشغل ذهنه . إنّ مقاطع الوحدة السّردية الأولى، تبدأ جميعها بالزّمن الحاضر، والّذي يمثّله وجود " الطيّب " في السّجن، و تنتهي بالماضي عبر كبسولة الذّكريات، إلّا أنّ مقاطعها تختلف في نسبة استحضار الماضي ، وتداعي الذّكريات ،و تتشابه كثيرا في تذبذب الاستذكارات ، الّتي تربك "القارئ" ، و تشوّش عليه تفكيره، و للتّخفيف من حدّة التّشويش ، الّذي تخلقه الاستذكارات ، يلجأ " السّارد" ،إلى تكرار بعض الأحداث ، الّتي يكون قد نسيها ، أو اختلط عليه أمرها .

2.1- التّنافر الزّمني في الوحدة السّردية الثّانية :

يتوقّف السّرد في الوحدة السّردية الأولى ، غامضا ، وناقصا ، ليتحوّل إلى الوحدة السّردية الثّانية ، الّتي تسرد و ما يماثلها من الوحدات ، قصّة " عايد " المهاجر، الّذي قدم إلى " الدّشرة "، و " الطيّب " قد دخل السّجن ، وهي قصّة فرعيّة من الدّرجة الثّانية مكمّلة ، ومفسّرة لقصّة " الطيّب"، و تجدر الإشارة إلى أنّ تحديد اللّواحق ، والسّوابق في هذه الوحدة ، إنّما يتمّ بالقياس مع الزّمن الّذي تسرد فيه الأحداث من قبل " السّارد " و هوالزّمن الحاضر ، كما يتمّ تحديد نوعها (خارجيّة أو داخليّة) ، بالنّظر إلى القصّة الأولى .

1·2.1 – الّتنافر الزّمني في المقطع الأوّل :

بهذا المقطع يستهلّ السّارد الوحدة السّرديّة الثّانية ، و" عايد " لمّا يحطّ رحاله بالقرية ، وهو مقطع قصير جدّا، ويلاحظ فيه وجود بعض اللّواحق يمكن عرضها فيما يلي :

- « أقسم عايد لأبيه» [10]ص28: لاحقة ، تعلن عن عودة " عايد " إلى القرية في المستقبل ، و تؤكّد اللّاحقة الخارجيّة الجزئيّة التّالية : « ذات ليلة ، و الموت يقترب من سرير الأب المهاجر، سأل عايد أباه أن يوصيه، فتح الأب عينيه بجهد ، و مدّ يده إلى ابنه ، وضعها هذا في حنان بين راحتيه ، خرجت من فم المريض ، الحروف الّتي تشكّل كلمة القرية متقطّعة ، لكنّها واضحة ، كما لو أنّ المهاجر، استجمع آخر جهد بقي فيه ، و أفرغه في هذه الكلمة ، لتخرج واضحة مسموعة : القرية » [10]ص27.

- « خطيبها الشّرعيّ سجين ، لا يمكن لها أن تنتظر مرور سنوات السّجن الطّويلة بدون زوج » [10]ص29: سابقة خارجيّة ،تلمّح إلى طول الفترة،الّتي سوف يقضيها "الطيّب" في السّجن ·

2·2.1– الّتنافر الزّمنيّ في المقطع الثّاني :

يتناول هذا المقطع ،ما رافق قدوم " عايد " إلى " الدّشرة " من أحداث ، وأبرزها لقاؤه مع راعي دشرة " السّبعة " ، حيث جرى بينهما حوار، تضمّن أسئلة يطرحها " عايد " ، و يجيب عنها " الرّاعي " ، أعلنت عنه السّابقة الدّاخلية التّالية: « سوف يتحصّل منه على بعض المعلومات ، ربّما لن

يتوصّل إليها على طريق آخر» [10]ص31، و تخلق بدورها حالة انتظارلدى" القارئ "، لمعرفة ما يحتويه الحوار من معلومات ، و قد احتوى ما يلي :

- « جاء من المدينة مجموعة من النّاس ، زعموا أنّهم جاؤوا لمساعدة النّاس »[10]ص33 :لاحقة خارجيّة تامّة ، توضّح بعض أحداث قصّة " الطيّب " .

- « جاؤوا مع الشّامبيط ... قال :أرسلتهم الحكومة ، فرّقتهم الجماعة على البيوت،منهم شخص جاءت قرعته على بيت الأخضر بن الجبايلي ،كان يتظاهر أنّه درويش كالدّراويش ، وهويخفي الشّر»[10]ص33: لاحقة خارجيّة تامّة ، توضّح بعض أحداث القصّة الّتي يسردها " الطيّب " .

- « كان يقضي أيّامه هائما بين الشّعاب و الجبال ، كمن يبحث عن كنز» [10]ص34: لاحقة خارجيّة تامّة ، تقدّم معلومات ، تكمل ما جاء به " الطيب " ، في الوحدة السردية الكبرى الأولى .

- « لكنّه في الحقيقة يريد اختطاف الجازية» [10]ص34: لاحقة خارجيّة تامّة ، تقدّم معلومات مكمّلة ، لما جاء به " الطيّب " في الأزمنة الأولى .

- « الجازية خطيبة الطيّب بن الأخضر ... لذلك قتله الطيّب ، و هو الآن في السّجن »[10]ص34: لاحقة خارجيّة تامّة ، تذكّر بسبب سجن " الطيّب " .

- « أنت ذاهب إلى الدّشرة لدى الأخضر الجبايلي ... سوف يقول لك كل شيء» [10]ص35: سابقة داخليّة ، تمهّد للقاء "عايد" بـ : "الأخضر الجبايلي"، و تعرقل سبيل "القارئ " ، في معرفة المزيد من المعلومات .

- « شهيد قتل بألف بندقيّة ، كان وحده جيشا ، دفن في حناجر الطّيور ، قالوا » [10]ص36: لاحقة خارجيّة ، تقدّم معلومات تتعلّق بمقتل والد " الجازية" ، و تسدّ فجوة من فجوات السّرد ، الّتي حصلت جرّاء الانقطاع الّذي حصل بالسّابقة الآنفة .

- « تلك القرية الجديدة الّتي لا يريد سكّان الدّشرة الانتقال إليها ، السكّان اتّفقوا على أن لا يرتحلوا من الدّشرة ،وعلى هدم السّد إن لزم الأمر» [10]ص37: سابقتان داخليّتان ، تعلنان عن رفض السكّان الانتقال إلى القرية الجديدة .

- « السّد الّذي تبرّعت به احدى الوكالات الّتي يعرفها ابن الشّامبيط ، ببنائه» [10]ص37: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تعرّف بهويّة صاحب مشروع السّد .

لقد غلب على هذا المقطع " الحوار " ، الّذي قدّم – من خلاله – "السّارد" ، الكثير من الأحداث المذكورة في الوحدة السّردية الأولى،و قد نجح في تشويق "القارئ " إلى معرفة ما يريد دون أن ينفذ رصيده سريعا .

3·2.1– التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث :

استهلّ "السّارد" هذا المقطع – على غير عادته - ، معتمدا على الوقفة (ليست مجّانيّة) ،حيث نفّس عن" القارئ "عبء كثافة الأحداث ، حيث يقدّم صورة من صور القرية الطّبيعيّة الخلّابة ، حتّى يخيّل إلى " القارئ " أنّه يشرب من عينها ، و يتظلّل بأشجارها ،و يتواصل الوصف غير المجّاني للقرية :«تاريخ القرية العريق ،هو ذكريات مرتبطة بسنى الخصب والجدب،و بسنى القرّ والحرّ،الحرب التي خاضتها من أجل التّحرير، رغم عظمتها لم تسطّر في رؤوس السكّان أكثر من ذكريات...مع أنّ القرية كافحت ، صمدت وقفت في وجه الظّلم ، بيتا ، بيتا ، فردا ، فردا ، لكن بدون حقد، الشّامبيط نفسه عندما أمر بالاستقالة استقال، ولمّا جاء الاستقلال وأمر بالعودة عاد »[10]ص39، ونسجّل لاحقة خارجيّة جزئيّة أخرى،تطلعنا عن السّبب الذي خاض من أجله سكان القرية غمار حرب التّحرير ، و هي « إذا سئلوا لماذا حاربوا، أجابوا :من أجل النّيف» [10]ص40، بالإضافة إلى اللاحقة الخارجيّة الجزئيّة التّالية ، التي تخبرنا بالسّبب الذي دفع والد " عايد " إلى الاغتراب، و هي : «قال له : أحبّ شيئا مجهولا وهو صغير،فانتهى به حبّه إلى الغربة ، باحثا عن ذلك المجهول»[10]ص40، و بينما "عايد " في ذكرياته، فإذا بفتاة حسناء تقطع خواطره ليعود إلى الزّمن الحاضر:« هو يشعر الآن أنّه قادر على أن يصعد إلى هنا عشر مرّات متتاليات»[10]ص41، ولا ينفكّ "عايد "من ذكرياته ، حتّى يتداعى على ذهنه حديث أبيه :« عيب ،هكذا حدّثه أبوه عن تقاليد المداشر، الرّجل لا يلتفت إلى المرأة»[10]ص41، و هي لاحقة خارجيّة جزئية ، ذات وظيفة إعلامية ، تكشف عن عقلية أهل المداشر، و بعدها يعود "السّارد" إلى الزّمن الحاضر:«مع ذلك فإنّ عايد يشعر الآن أنّ حياته لم تذهب سدى »[10]ص42،هذا ، و نحصي بعد اللّاحقة المذكورة آنفا، سابقة داخليّة تنبئنا بشيء يحصل في المستقبل بين " عايد " و الفتاة ذات الوجه المشرق، تتمثّل في قول "السّارد ": « إنّ المستقبل مهما كان بالنّسبة إليه ، لا يستطيع نزع هذه الصّورة المشرقة من نفسه » [10]ص42.إنّ وظيفة هذا المقطع ، هو تسليط الضّوء على العلاقة التي تربط بين"حجيلة " و"عايد " حيث تتعالق القصّة من الدّرجة الثّانية بالقصّة من الدّرجة الأولى باعتبارها الوجه المّادّي الملموس للجازية .

4·2.1 – التّنافرالزّمنيّ في المقطع الرّابع :

يتناول " السّارد " في هذا المقطع ، ما جرى بين"عايد "، و"الأ خضرالجبايلي "، والد " الطيّب"، من أخذ وردّ من جهة ، و ما جرى بين " عايد " و أفراد عائلة " الأخضر " من جهة أخرى،و نسجّل فيه مايلي :

- « لا أعرفه فقط، إننا أكثر من أخوين، كيف حاله، انقطعت عنّي أخباره كم من سنة»

[10]ص43:تزامن يسرد فيه " الجبايلي " ما كان بينه وبين " أبي المحاين " ، من أخوّة و صداقة .

- « إنّه ابن السّايح ، أتتذكّرين السّايح أبي المحاين ؟ ، الّذي كان يطارده الاستعمار، الرّجل الّذي أقام الدّنيا و أقعدها »[10]ص47: لاحقة تقدّم معلومات عن " السّايح أبي المحاين " .

- « ذلك الشّاب الحييّ ، الّذي لم يكن يرفع بصره أبدا ،عندما يتحدّث معها ،عرفته وشمس الجبال لم تشرب بعد ماء شبابها ، كان يحبّها ، و كانت تحسّ بذلك ، لكنّها كانت بالنّسبة إليه ، أوّلا و قبل كلّ شيء،زوجة صديقه الحميم ، وكان بالنّسبة إليها قبل كلّ شيء ، صديق زوجها الوفيّ ، كان حبّهما متبادلا بدون تصريح ، أو رجاء تحقّق ، كان بمثابة رباط مقدّس ، يجمع بين عواطف مكبوتة في الأعماق، أكثرمن أيّ شيء آخر»[10]ص47: لاحقة ، تعرّفنا بعلاقة "السّايح أبي المحاين" ، و"هادية " زوجة " الأخضر .

- « لكنّه في الحقيقة لم يكن وديعا كما يتخيّل النّاس ، لقد كان وراء كلّ الأحداث ، والأعمال الفرديّة ،الّتي عرفتها النّاحية في سنوات القهرأربعة من رجال الجندرمة ، وثلاثة حرّاس غابات ، ومفتّشا سريّا ،غامرو قاضي محكمة ، قام بكلّ هذه الأعمال في ظرف خمس عشرة سنة »[10]ص49: لاحقة تسلّط الضّوء على جانب من حياة " الأخضر" النّضالية ، كما تسحب ما تضمّنته اللّاحقة التي سبقتها .

- « أبوه قال له ذات يوم : حياة القرى غامضة لا تفهم ،مثلها مثل البحر، وقال له : لا تحدّث القرويّ بحقيقتك ،ذلك يزهده فيك »[10]ص51: لاحقة خارجيّة تامّة ، تفسّرالسّابقة الدّاخلية التّالية : « سوف يحاول فهمها بأسلوب ذكيّ ، لن يخبر أحدا بحقيقته » [10]ص51.

- « من هنا يعرف المرء أنّ الدّشرة على هاوية »[10]ص51: سابقة داخلية ، تلمّح إلى حدوث كارثة في"القرية" .وما يمكن ملاحظته في الوحدة السّردية الثانية ،هوغلبة الزّمن الحاضر، على الزّمن الماضي ، ما عدا تلك الاسترجاعات المتعلّقة " بعايد "، و" أبيه " ، و " الأخضر " .

3.1- التّنافر الزّمنيّ في الوحدة السّردية الثّالثة :

1.3.1– التّنافر الزّمني في المقطع الأوّل :

يعود الزّمنان (زمن الحكاية، و زمن القصّة) إلى الاتّفاق في النّقطة " الصّفر" الّتي انطلقت منها الرّواية ، و هي مجمع الأزمنة (الحاضر، الماضي، و المستقبل) : «الشّاعر لم يعد ، الليل طويل ، الظلام يملأ الحجرة ، لا أرى شيئا ، لا الصّور البورنوغرافية ،لا الألفات ، العصى الّتي لم تصل بصاحبها إلى الباب»[10]ص55، ويقطع " الطيّب " – على غير عادته – حاضر القصّة في بداية هذا المقطع ، بسابقة داخليّة ، وظيفتها الإخبار بالمدّة التي سوف يقضيها " الشّاعر" بالمستشفى ، خلّفت حالة انتظار لدى " القارئ " ، الذي لا شكّ أنّه سيعدّ أيّام هذه الفترة ، و يترقب انقضاءها ، وهي ما نقله "الطيّب" عن " السجّان " : « قال السجّان : «سيقيم أسبوعا بالمستشفى تحت الرّقابة ،

حالته الصحيّة سيّئة »[10]ص55، و لكنّه (السّارد)لا يفتأ يستحضر ماضيه ، لتتراءى له " القرية " ، و مجموعة " الطّلبة المتطوّعين " يتقدّمهم " الشّامبيط " :

-«في سواد الظّلام ، أرى القرية من جديد ، أرى الشّامبيط يتقدّم مجموعة من الطّلبة المتطوّعين» [10]ص55 ،وهي لاحقة خارجيّة تامّة ، وظيفتها إتمام ما استرجعه " الطيب " في الوحدة السّردية الأولى ، ويواصل " الطيّب "اختراقه للحاضر،ويسافر بعيدا إلى ذكرياته ، الّتي لا تبخل عليه بالإمداد ، و ذلك من خلال اللّواحق الخارجيّة الجزئيّة التالية : « قال السكّان : جاؤوا لقضاء عطلتهم في جبلنا . قال الشامبيط أرسلتهم الحكومة . قال الطّلبة : جئنا لمساعدة النّاس »[10]ص55، تقدّم عدّة اقترحات ، لسبب قدوم "الطّلبة " إلى " الدّشرة " ، و كان بإمكان "السّارد " أن يقدّم السّبب الحقيقيّ لقدوم ، " الشامبيط " ، و"الطّلبة " للقرية دون أن يرصد أقوال السكّان و الطّلبة والشّامبيط ، ولكنّه يأبى إلّا أن يحقّق غايته ، المتمثّلة في إرباك " القارئ " ، و تشغيل فكره ، للبحث عن معرفة الحقيقة ، الّتي لا تتسنّى له إلّا بتتبّع أحداث المقطع كلّه ، بل أحداث الرّواية بكاملها ، فالسّارد– إذن – يشدّ إليه " القارئ " شدّا ، من خلال المعلومات النّاقصة ، والغامضة الّتي يقدّمها ، و فضلا عمّا سبق ذكره ، احتوى المقطع الأوّل من الوحدة السّردية الثّالثة ، على سوابق ، ولواحق ، يمكن إيرادها فيما يلي :

- « الشّامبيط همّه بناؤها ، لتتمكّن الشّركة من بناء السّد ... كما يريد أن يتمكّن ابنه الّذي يقرأ في أمريكا ، من مخالطة السكان في الدّشرة ، لا يستطيع ذلك ، الصّعود إلى الجبل مرّتين متتاليتين فقط ، يكرهه في كلّ شيء،و يدفعه إلى العودة إلى أمريكا،كما زعموا»[10]ص56: سابقة داخليّة ، تكشف عن هدف "الشّامبيط " من مشروع القرية الجديدة ، و من بناء السّد ، و تؤكّدها السّابقة الدّاخلية التّالية : «الشّامبيط – إذن – يسعى بكلّ الوسائل لإقناع السكّان بقبول الانتقال إلى القرية الجديدة،الّتي وهب قطعة أرض لتبنى فيه »[10]ص57.

- « الشّركة – أيضا – تودّ أن ينتقل السكان في أسرع وقت ممكن ، و لو تبنى لهم مؤقتا بيوتا من قزدير ، ليتسنّى لها الشّروع في بناء السّد ، لأنّه لا يمكن الشّروع في أيّ بناء ، و الدّشرة قائمة في رأس الجبل ، إذا بني السّد قبل الرّحيل يستحيل الوصول إليها ... الشّركة لا تريد أن تظهر بمظهر المستبدّ ، مع سكّان ضحّوا بكلّ ما لديهم ليحيوا أحرارا ، اختارت هي – أيضا – طريق الإقناع ، و الإغراء ، و الدّعاية قالت : إذا بني السدّ فلن تضيع بعد ذلك مياه الجبال ، سيعمّ الخصب ، و تحيا عيون السّهل ، و تصبح الأراضي كلّها سقويّة »[10]ص57: سابقة داخليّة ، تكشف عن الوسيلة الّتي تستخدمها الشّركة ، لتحقيق مشروع القرية الجديدة .

- « لكن السكّان ردّوا ، بأنّ الماء لا يمكن أن يتجمّع في سدّ هناك ، المياه كلّها تغيض تحت الصّخور ، في قرارات قصوى ، فهو لم ينفع أحدا بل يضرّ ، و لتكون الصّورة أكثر بشاعة ، أضاف السكّان ، أنّ

السّد إن بني ، سوف يكون هاوية ضخمة ، قرارها الجفاف ، إنّه في نظرهم سدّ لا لتجميع الماء ، و لكن لسدّ الطّريق الوحيد المؤدّي للدّشرة ، حيث الجامع الدّائع ، جامع السّبعة »[10]ص57: سابقة داخليّة ، تكشف عن الأضرارالّتي يخلّفها بناء السدّ ، و توضّحها اللّاحقتين الخارجيّتين الجزئيّتين التّاليتين :

- « تقع الدّشرة في القسم الصّخري من الجبل ، الجامع بني من الجهة الشّمالية من موقعها ، يشرف على منحدر يبلغ عدّة كيلومترات ، له صحن بسبعة أقواس ، هي كلّ ما يرى من السّفح ، حيث تستوي الأرض و تتبسط سهولها ، يقال عن الجامع أنّه مدفون به سبعة أولياء ، لهم من يخلفهم أبد الدّهر، كلّما مات سبعة، جاء من بعدهم سبعة ، يعبّر السكّان عن ذلك بعبارة متداولة بينهم:سبعة يغباو،و سبعة ينباو»[10]ص57.

- «مما جعل الزّردات تتوالى،والتنبّؤات تتعاقب ، أصبح الغيب شفّافا لا تخفى خفاء جيّدا ، وراءه الأحداث المقبلة»[10]ص58: سابقة داخليّة ، تنبئ بقيام زردات في "الدّشرة " و يمكن التّعليق على هذا المقطع،بأنّه مقطع قصير،جمع فيه السّارد بين السّوابق واللّواحق ، ممّا يجعله مقطعا تمهيديّا للمقاطع الموالية .

2.3.1– التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّاني :

يعيد " الطيّب " في هذا المقطع استرجاع الأحداث الّتي ذكرها في المقطع الأوّل ، وهي ما تعلّق بقدوم الطّلبة المتطوّعين ، و سبب قدومهم إلى القرية ، ليتأخّر بذلك عن السّابقة التي انتهى بها المقطع السّابق،وليعكس توقّع " القارئ " الّذي ينتظر أخبار" الزّردة "،الّتي ستقام في القرية ، لقد اخترق " السّارد " المستقبل إلى الماضي ، فيقول : «مهمّتهم فيما أشاع الشّامبيط ، إقناع السكّان على الاستعداد للرّحيل إلى القرية الجديدة ، قبل أن يبنى السّد،و تنقطع الطّريق» [10]ص58، وهذا القول ، لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تعرّف بمهمّة الطّلبة في "الدّشرة "، و توضّحها اللّاحقة الخارجيّة التامّة التالية :« لكنّ الطّلبة لم يكن يهمّهم انتقال السكّان من قرية إلى أخرى،بقدر ما كان يهمّهم انتقالهم من الماضي إلى المستقبل ... هذا ما قالوه في عدّة مناسبات، خاصّة الأحمر »[10]ص58 هذا ، و تضمّن هذا المقطع عدّة لواحق ، و سوابق يمكن رصد بعضها فيما يلي :

- «قرّرت الدّشرة أن تقيم لهؤلاء الضّيوف ضيافة،و ضيافة مدنيّين في قرية جبليّة مشهورة بالأولياء ، ما عساها أن تكون ، إن لم تكن زردة ؟! »[10]ص59: سابقة خارجيّة ، تعلن عن إقامة " زردة" في القرية احتفالا بالطّلبة المتطوّعين ، وتخلق حالة انتظار في نفس " القارئ "، يتوق فيها إلى التّعريف على مجريات الحفل ، الّتي يؤخّر" السّارد " الإخبار بها ، بقدر مدّة الإعداد لها (الزّردة)، و هي مدّة غير محدّدة، تنبئ السّابقة الدّاخليّة التّالية : « زردة تقتضي الإعداد لها » [10]ص59.

- «وريثما يتمّ ذلك ، بدأ الاتّصال بين السكّان والطّلبة »[10]ص59: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تخبر بما حدث طوال فترة الإعداد للزّردة .

- « لم يبد أحد استعداده لئن تشاركه حياته العائليّة طوال شهر»[10]ص60: سابقة خارجيّة ، تعلن عن المدّة الّتي سوف يقضيها الطّلبة في القرية ، وتؤكّد السابقة قبلها ، و تؤكّدها السّابقة الخارجيّة التّالية :

« قلت له : تطوّعت مجموعة من الطّلبة لقضاء شهر بالدّشرة»[10]ص61، و تجدرالإشارة إلى أنّ هذه السّوابق معلومة المدى ، وهو شهر كامل ، بينما سعتها لا تتعدّى بضعة أسطر .

- « كانوا سبعة فتيان و فتاة ، أقول تجاوزا ... الأحمر كان في سنّ الثّلاثين»[10]ص60: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات عن الطّلبة المتطوّعين (عددهم ، و ماهيتهم) .

- « عائلتنا قليلة الأفراد ، تتركّب من أبي ، و أمّي ، و أختي ، و أنا ، و كل منّا عالم وحده ، باستثناء أمّي ،أختي حجيلة...إنّها لاتخشى أحدا ، حتّى بندقيّة أبي ، مع أنّ بندقيّة أبي ليست شيئا هيّنا »[10]ص60،61: لاحقة خارجية جزئيّة ، تقدّم معلومات عن عائلة " الطيّب " .

- « ... لم يندهش لرؤية الطّالبين ، سبق له أن شاهد في السّنوات الماضية بعضا من أصدقائي الّذين جاؤوا لقضاء أيّام بيننا »[10]ص61: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تعلن عن زيارة سابقة للطّلبة إلى القرية .-« ففاجأني الأحمر بسؤال لم أكن أنتظره كليّة : هل صحيح أنّ بهذه الدّشرة فتاة أو امرأة تدعى الجازية رفضت كلّ من تقدّموا لخطبتها، أخبارها ذاعت في كلّ جهة ؟، قالوا : لم ترفض خطّابها ، لم يستطع أي أحد منهم رؤية وجهها»[10]ص63: لاحقة تكشف عن جانب مهمّ من شخصيّة " الطّالب الأحمر" .

- « ترى كم ينبغي لنا من وقت لاقتلاع الخرافات من أذهان النّاس؟! »[10]ص63: سابقة خارجيّة ، تنبئ بفشل مهمّة الطّلبة في القرية ، والّذي يعني فشل المستقبل أمام الماضي .

- « أجابها مكاني : الهاوية »[10]ص67: سابقة خارجيّة تنبئ بمصير القرية ، و هي تنبّؤ متحقّق يكشف عنه مجرى الأحداث .

- « عمل في عهدين ، و سيعمل بقوّتين ، قوّة الشّمبطة ، و قوّة أخرى يستمدّها من أمريكا ، حيث يقرأ ابنه »[10]ص69: سابقة خارجيّة ، تعلن عن مجيء قوّة تمدّ الشّامبيط بالعون ، و تشدّ أزره لتحقيق مشاريعه .

- « وإذا بمنادي الدّشرة يرتفع صوته عاليا : يا أهل الدّشرة الأخيار، والسّبعة الكبار، يا اللّي النّاس تزوركم من كلّ الأقطار، نهار الخميس اللّي جاء بغرارة ، يروح بتلّيس ، زردة و وعدة ، على خاطر شبّان أضياف ، هم الرّأس و أحنا الأكتاف»[10]ص69: سابقة خارجيّة ، تعلن عن اليوم الّذي سوف

تقام فيه " الزّردة " ، وتعرّفها اللاحقة الخارجية الجزئية التالية : «حكى لنا طالب قصّة وقعت له مع أحد السكان : سأل الطّالب عن الزّردة ما هي ؟ : فأجابه القرويّ : الزّردة ! لا تعرف الزّردة ! ، أكباش تذبح ، و مناجل تضبح ، و زرنة و بنادير تصدح ، فيها صفقات تعقد ، و أموال تعدّ ، ماء من العين ، و دعوى من الصّالحين ، لأبناء المدينة المتطوّعين »[10]ص71.

- « استريحوا اللّيلة، إذا اعملوا ما ترون لائقا بكم »[10]ص72،73: سابقة خارجية ، تعلن عن مباشرة الطّلبة لمهامّهم في القرية ، في الغد ، وهو اليوم الثّاني من حلولهم بالدّشرة .

إنّ ما يمكن ملاحظته في هذا المقطع ، هو أنّ استرجاع الماضي من قبل " الطيّب " ، لم يأت على نسق مرتّب ، ممّا يسوّغ القول بأنّ انكسار التّرتيب الزّمني في رواية "الجازية والدّراويش"، لم يتجسّد في الانتقال من الحاضر إلى الماضي ، بواسطة الذّكريات الّتي تتداعى على ذهن " الطيب " ، وإنّما يشمل الانكسار الاسترجاع في حدّ ذاته ، و كان ذلك بأن يقطع "السارد" حدثا استرجعه ولم يتمّ سرده ، بحدث آخر، إمّا سابقا للحدث المقطوع ، أو لاحقا به ، وهو الأمر الّذي فعله "الطيّب" في بداية هذا المقطع ، حيث توقّف أو قطع سرد مجيء الطّلبة المتطوّعين إلى القرية ، بالسّابقة الّتي أنبأتنا بقيام الزّردة ، و تتمثّل ومهمّة القطع في تأجيل الإخبار بمجريات " الزّردة " وذلك لجرّ"القارئ " إلى تتبّع الأحداث المقبلة ، كما يلاحظ على هذا المقطع تركيز السّرد على السّوابق ، أو التنبّؤات الّتي تشدّ " القارئ " ، وتجعله ينتظر تحققها أو عدمه .

3.3.1– التّنافر الزّمنيّ في المقطع الثّالث :

يواصل " الطيّب " في هذا المقطع ، استرجاع ماضيه دون أن يعود إلى الزّمن الحاضر لتتداعى عليه ذكريات "الجازية " (خطبته ، و لقاؤه بها) ، وتمّ فيه إحصاء عدد من اللّواحق والسّوابق،نعرضها كالآتي :

- « المرّة الوحيدة الّتي خالفته فيها ، كانت تتعلّق بالجازية ، كنت حينئذ أدرس بالمدينة ، رجعت في العطلة إلى الدّشرة ، فعرض عليّ الموضوع ، رفضت رفضا قاطعا »[10]ص73: لاحقة خارجيّة جزئية ، تقدّم معلومات عن وقت عرض موضوع خطبة " الجازية " على الطيّب ، من قبل الأخضر الجبايلي .

- « قال : بنت أصل، أبوها شهيد، أمّها صالحة، لكنّ الله كتب عليها الموت أثناء الوضع، و الولادة استشهاد – أيضا - !، مربّيتها الحالية عائشة بنت سيدي منصور، مناضلة كبيرة، و مجاهدة كجدّاتها الصّالحات ، يعرف نضالها العدوّ و الصّديق »[10]ص73 :لاحقة خارجيّة جزئية، تقدّم معلومات عن " الجازية " ، و أبيها ، وأمّها،ومربّيتها ، وهي معلومات ذكرها " السّارد" من قبل في المقطع الزّمني الثاني من الوحدة السّردية الثّانية [10]ص23،24، و في الوحدة السّردية الأولى [10]ص36.

- « أيّدته أمّي في حديثه و أضافت : عجوز صالحة ، أعطاها ربّي قوّة القلب والذّاكرة»[10]ص73: لاحقة خارجيّة تامّة ، تضيف معلومات عن مربّية " الجازية " .

- «أنت الآن على وشك إتمام قراءتك ،لابدّ أن تبني مستقبلك على أساس صحيح، النّاس في الدّشرة ينتظرون هذا الزّواج ... و الشّامبيط يجري ليل نهار،يريد خطبتها لابنه الّذي يقرأ في أمريكا ...و لعلّ مساعيه لتبنى قرية جديدة في أرضه، و يبنى سدّ في سفح الجبل، يدخل في برنامجه المتعلّق بالجازية لو نجح لضاع كلّ شيء، و أصبح جهاد المجاهدين عبثا من العبث»[10]ص73،74: سابقة خارجيّة ، تكشف عن نوايا " الشّامبيط " و" الأخضرالجبايلي "من مشروع تزويج ابنيهما من " الجازية " ، حيث ينوي الأوّل من الزّواج تحقيق مصلحة شخصيّة ، بينما ينوي الثّاني خدمة الدّشرة وأهلها، و تؤكّد هذه السّابقة سابقة خارجيّة أخرى جاءت على لسان والد الطيّب وهي قوله :« ... هذا الزّواج مسؤوليّة نحونا ، و نحو الدّشرة »[10]ص76 .

- « حقّرت نفسي أمامها ، امتلكني حزن غريب ، وأنا أرى نفسي تصغر كلّما رفعت بصري إليها ، عن جمالها المخيف، إذا ابتسمت يهتزّ الوجدان إليها ، إذا تكلّمت تنفتح النّفس كلّية لاحتضان كلّ ذبذبات صوتها »[10]ص76: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، يصف " الطيّب " من خلالها لقائه مع الجازية.

- « تنهّدت الجازية ،وقالت : أقبل زوجا ابن عمّي الأخضر الجبايلي ،لكن أخشى عليه من دسائس الآخرين ، كلّهم يريدونني لغاية لا تتلاقى مع الحبّ الّذي أبحث عنه لدى الزّوج ،هم تجّارو سماسرة ، أكثر منهم خطّابا »[10]ص76: سابقة خارجيّة ، تعلن عن سبب رفض "الجازية "الطيّب زوجا لها.

- « جاءت إلى البيت و أنا صغيرة امرأة غريبة الأطوار تقرأ اليد ، أنبأتني أنّني آكل عشبة تنبت في جبلنا لا يعرفها أحد، تبقيني صغيرة حتّى اليوم الّذي أتزوّج فيه زواجا حلالا،و أنّ أزواجي الأولين لن يكونوا شرعيّين، سيكونون أزواجا حراما، و أنّ كلّ واحد منهم يلاقي حتفه عندما يظنّ أنّ الحياة استوت له ، ثمّ يمرّ زمان لا شمس فيه ، يشبه اللّيل و ليس ليلا ، أعيش أزماته واحدة ، واحدة ، ثمّ أتزوّج بعدما يموت كلّ أبنائي المولودين من زيجاتي الحرام ،أتزوّج زواجا يشهده كلّ دراويش الدّنيا»[10]ص76،77: لاحقة خارجيّة تامّة، توضّح ما جاء في السّابقة المذكورة قبلها، وتتضمّن سابقة داخليّة ، تعلن عن الحقيقة المحتّمة على الجازية، و القدر الّذي ينتظرها، و ينتظر أزواجها .

و ينتهي المقطع الثّالث باسترجاع "الطيّب" للحمّى الّتي أصابته على إثر التقائه بالجازية،فيقول:« و ما إن دخلنا الدّار،حتّى داهمتني حمّى من النّوع الممتاز، حمّى الباليوديزم »[10]ص79، ويرجع ظهور هذه الحمّى ، إلى الحرب العالميّة الثّانية ، وهي الفترة الّتي كانت فيها " الجزائر " تعاني وطأة الاستعمار .

ونلاحظ أنّ الأحداث الّتي استرجعها " الطيّب " في هذا المقطع، جرت في الواقع قبل قدوم الطّلبة المتطوّعين إلى القرية وهي أحداث بعيدة عمّا ورد في المقاطع السّابقة من هذه الوحدة (الوحدة السّرديّة الثّالثة) ، و ذلك ما يؤكّد السّرد غير المنتظم للأحداث من قبل " الطيّب " .

4.3.1– التّنافر الزّمنيّ في المقطع الرّابع :

يستأنف " الطيّب " في هذا المقطع استرجاع الأحداث المتعلّقة بقدوم الطّلبة المتطوّعين إلى" الدّشرة" ، فيستهلّه بلاحقة تامّة ، يرصد فيها الأجواء العامّة الّتي سادت القرية إثر وصول الطّلبة إلى القرية ، كما ينقل فيها بعض تعليقات القرويّات : « نشطت الحياة في الدّشرة منذ وصول المتطوّعين، كثر بين النّساء التّواصل و التّزاور، لنقل آخرالقصص الّتي نسجها خيال الدّشرة عن المتطوّعين، فتيات القرية

وصفن الشبّان بأوصاف قرويّة عذبة الصّور، قالت واحدة تصف الأحمر شعره كالدّرى. قالت أخرى : عيناه فريكيّتان. قالت ثالثة : بوجهه نمش كالقمر.قالت الرّابعة :طويل كالصّفصاف . كنّ بالجملة مسرورات بهؤلاء المدنيّين »[10]ص79، و يقدّم " السّارد " في لاحقة خارجيّة جزئيّة معلومات عن الطّالبة " صافية" فيقول : « قالت سألت الطّالبة صاحبة السّروال والسّيقارة ، هل لك أب؟، نعم، ماذا يعمل؟ ، معلّم ، ما شاء الله !، هل لك أمّ ؟ ، نعم ، ماذا تعمل ، حلّاقة »[10]ص79،80 .

وهاهو " الطيّب " يصل إلى حدث " الزّردة " فيستحضره بعد أن كان قد أنبأ به في المقطع الزّمني الأوّل من هذه الوحدة، و يعتمد في سرد مجريات النّبإ على ما يلي :

- « جيء بالثّور الأبقع ، لم يكن مهتمّا بما ينتظره ، يمشي على مهل ، هادئا ، شامخ الأنف والقرنين إنّه ثور من ثيران الجنّة ، جلل الثّور الأبقع مزوّق منمّق مرونق ، على شكل و بألوان راية السّبعة، حنّئت قوائمه فصار فعلا ثور الجنّة ، سيق إلى مكان الذّبح، بعدما طوف به في ساحة الجامع»[10]ص83،84: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات عن الثّورالّذي ذبح في الزّردة .

- « ذبح الثّور، و سال الدّم في صحفة من الفخّار حتّى بلغ منها النّصف ، ثمّ ترك الباقي يسيل في مكانه، ألقي في الصّحفة ملح و فحم، ووضعت على حدة حتّى يتجلّط الدّم ، وتمكن قراءته ، دوت البنادير، وعلا صوت الزّرنة ، وصيحات الدّراويش، في ألحان تمهيديّة ، ثمّ جيء بصحفة الدّم إلى أحد الدّراويش ليقرأها ... يقرأ المستقبل المسطّر في دم الثّور المجمّد،وضع الصّحفة في كفّه ودار بها في السّاحة كما يدور المهرّجون بالأسواق ، يقف لحظة يتأمّل الصّحفة ، ثمّ يستأنف دورانه ، فعل ذلك سبع مرّات في ساحة الجامع ، على عدد الأولياء والأيّام » [10]ص84،85: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تقدّم معلومات عن ذبح " الثّور " .

- «أجلست النّساء في جهة ، والرّجال في الجهة المقابلة ،و أجلس الطّلبة المتطوّعين ومعهم صافية

فيصدر السّاحة ، مع الشامبيط و أعيان القرية ، و الدّراويش و الإمام »[10]ص85 : لاحقة خارجيّة تامّة ، تتمّ سرد مجريات " الزّردة " ، و هي لاحقة حدثت في الحكاية قبل اللاحقة المذكورة قبلها ، تخبر بكيفيّة التّحضير لإفتتاح الحفل .

- «... اللّيلة ينتقم الأولياء من الطلبة ، أو تنتقم الجازية من الرّعاة و الدّراويش، أو يحدث أمر ما بعده ، أوتحلّ السّاعة»[10]ص87: سابقة خارجيّة تنذربحدوث كارثة في القرية، يؤكدّها ما جاء على لسان الدّراويش،حيث يقول : «يا ويلي، يا ويلي، السّباع تخاف من الكلاب، والأعداء صاروا أحباب ، يا ويلي، يا ويلي، الأبطال هربوا، و الأنذال غلبوا، يا ويلي، يا ويلي، السّاعة جات و فرات، السّاعة جات ، و اللّي ما عاش في الحياة ، ما يعيش في الممات » [10]ص88.

- « صعق النّاس، و لاذوا بالجامع يحتمون من المطر و البرد، بينما هرع الآخرون نحو بيوت القرية ، اختلط الحابل بالنّابل، علت الصّرخات والنّداءات، الأرض ابيضّت بالبرد، نسي النّاس أنفسهم ، راحوا يفكّرون في الكارثة الّتي حلّت بهم ، الفلاحة والغلال قضت عليها العاصفة ، لا شكّ أنّ الأولياء غضبوا على الدشرة ، الّتي قبلت هذه الإهانة من غريب »[10]ص92: لواحق خارجيّة جزئيّة ، تخبر بما حلّ بالقرية و أهلها ، بسبب الكارثة الّتي ألمّت بهم ، إثر رقص " الأحمر" مع " الجازية " .

- « إذا طلع النّهار، تصبح الأشجار عارية ، تصبح الأرض عارية ، يصبح السكّان عراة، كلّ شيء سيجرّه السّيل إلى الهاوية ، حتّى الآمال »[10]ص92: سابقة خارجيّة ، تعلن عن هول الكارثة .

هذا ، و ينتهي المقطع الرّابع باسترجاع " الطيّب " التّعليقات عن أمّه ، و أخته ، و الطّالبة صافية ، وهي أحداث وقعت بعد انتهاء الزّردة و حلول الكارثة ، فيقول : « أمّي قالت : إنّ ما حلّ بالقرية كان بسببه ، أهان الأولياء ، و الدّراويش ، و السكّان أكرموه و آووه »[10]ص93، و يقول – أيضا - : « حجيلة كانت مندهشة من مقدرته على الرّقص ، و لعق المنجل ، و متذمّرة من رقصه مع الجازية »[10]ص93 ،بالإضافة إلى قوله:« صافية علّقت على مبالغته في مراقصته للجازية ، قالت : إنّ ذلك استفزاز للقرويّين الّذين لا يفهمون سلوكا مثل هذا »[10]ص93، و كلّها لواحق خارجيّة جزئيّة ، تخبر بالأثر العميق الّذي خلّفته فعلة " الأحمر " (الرّقص مع " الجازية ") في الزّردة ، في نفوس أهل الدّشرة بكلّ مستوياتهم .ولم يكثر"السّارد" في هذا المقطع من الأحداث ، بل ركّزعلى استرجاع ما يتعلّق بالزّردة الّتي أخّر سردها كثيرا، و بصفة متذبذبة .

5.3.1– التّنافر الزّمنيّ في المقطع الخامس :

يعود "الطيّب" في هذا المقطع الأخير من الوحدة السّردية الثّالثة ،إلى حاضره(الزّنزانة)،فيقول:« أنظر حوالي فلا أرى شيئا ،أبحث عن صور أقتلعها من غيابات الذّاكرة،لأتسلّى بها في هذا السّجن الرّهيب، فلا تخرج الصّورة،أرى أمامي لا شيء سوى ألفات رفيقي الّذي لم تصل به إلى الباب

»[10]ص94، لقد أطال السّارد الغياب من خلال المقاطع السّابقة عن الزّمن الحاضر، و سافر بعيدا عبر كبسولة الذّكريات إلى الماضي ، و إذا ما حاولنا تقدير مدى مقاطع الوحدة السّردية الثّالثة، فنقدّرها بستّة أيّام، وهي مدّة مكوث " الشّاعر" في المستشفى ، و هي مدّة تنبّئنا بها السّابقة الدّاخلية الّتي جاءت على لسان السجّان :« غدا يعود الشّاعر، سيريحك من التّفكير،إنّه يتحدّث كثيرا»[10]ص94 ،وبواسطتها يخلق "السّارد"حالة انتظار في نفس " القارئ" تضطرّه إلى تتبّع أحداث الوحدة السّردية الموالية ، حتّى يصل إلى الوحدة السّردية الخامسة .

4.1 – التّنافر الزّمني في الوحدة السّردية الرّابعة :

1·4.1– التّنافر الزّمني في المقطع الأوّل :

لقد أحوى " السّارد" هذا المقطع عدّة لواحق ، لتفسير و توضيح ما جاء في الوحدة السّردية السّابقة (الثالثة) ، يمكن ذكرها فيما يلي :

- « طبعا ، أعلمه بتفاصيل و جزئيّات حسبما كان يعتقد هو ، لا حسب الحقيقة ، قال له : إنّ الجازية " خطيبة " ابنه منذ الطفولة ، وأنّ السكّان كلّهم متّفقون على أن يتزوّجها هو ، و أنّ مربّيتها قبلت ، و أنّها هي نفسها، أي : الجازية لم تمانع ... و أنّه لم يتمّ الزّواج من قبل فلان الطيّب ، لم يكن قد أنهى دراسته ... لكن عندما جاء الطّلبة اضطربت الأمور»[10]ص95: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تقدّم بعض تفاصيل قضيّة " الجازية " مع " الطيب " .

- « قال له : سحبها إلى حلقة الرّقص سحبا ، فاضطرّت لمجاراته ، ثمّ من بعد أرغمها على لعق المنجل والرّقص معه إلى درجة الجنون ، حتّى لأنّ السّماء نفسها غضبت ، فأرسلت بردا على الدّشرة، لم تعرفه في تاريخها الطّويل ، تركها خرابا يبابا ... لقد وجد في احدى حبّاته الدّم »[10]ص96: لاحقة داخليّة ، تفسّرو تكمّل ما جاء في مقاطع الوحدة السّردية السّابقة ، و هو ما تعلّق بحدث " الزّردة " .

- «بينما حكت حجيلة ذات يوم للمهاجر أنّ أخاها لم يقتل أحدا ، و أنّه لم يكن يرغب في الزّواج من الجازية ، و لمّا تقابل معها أفهمته أنّه لم يخلق لها ، و لم تخلق له»[10]ص96: لاحقة خارجيّة، تعيد التّذكير بحدث لقاء " الطيّب " مع " الجازية " .

- « و أنّ سقوط الطّالب قرب عين المضيق ، قد يكون مجرّد عثرة ، لأنّه كان منذ مجيئه إلى القرية لا ينفكّ يتردّد على الجهات المشرفة على الهاوية ، و يتسلّق مختلف الصّخور و الرّبى الحجريّة » [10]ص79: لاحقة داخليّة، تقدّم معلومات من شأنها توضيح مقتل الطّالب " الأحمر " .

- «حيّر"عايد" مقتل الطالب ، إنّ سقوطه في الهاوية ، من مكان قرب عين المضيق ، أعاد إلى ذاكرته صورة قطيع الأكباش،الّذي فاجأه يوم أن كان قادما إلى الدّشرة»[10]ص79 :لاحقة داخليّة مضمّنة

تكراريّة ، تعيد التّذكير بحدث ماض ، ورد من قبل في الرّواية ، كما تؤكّد ما جاء في اللّاحقة الدّاخليّة السّابقة الذّكر ، و هو براءة " الطيّب " الّذي لم يقتل " الأحمر " ، و إنّما عثرعليه في عين المضيق ، فسقط في الهاوية .

- « لكنّ ما حكاه له صديق أبيه أقنعه ، ثمّ إنّ المحكمة نفسها حكمت بالسّجن على الطيّب ، لو كان بريئا لوجدت المحكمة ما يبعد الشّبهة عنه في التّحقيق الّذي وقع »[10]ص79 :لواحق داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تسحب ما جاء في اللّواحق السّابقة ، و يدعّمها " السّارد" باللّاحقة الدّاخلية المضمّنة التكراريّة التّالية : « الرّاعي – أيضا – قال أنّه رأى يوم الحادث ، الطيّب و الطّالب بالقرب من عين المضيق »[10]ص79.

هذا ، و ينتهي هذا المقطع – بعد أن بدىء بلواحق عديدة – ببعض السّوابق الّتي تنبئ بما سيجري من أحداث و يمكن ذكرها كا لآتي :

- « إنّ الجازية نفسها أخذت تبتعد متعلّقات آماله»[10]ص89: سابقة داخليّة تنبئ بتخلّي"عايد " عن المشروع الّذي قدم من أجله إلى القرية (الزّواج بالجازية) .

2.4.1 – التّنافر الزّمني في المقطع الثّاني :

ينقل " السّارد " في هذا المقطع القصير، الحوار الّذي دار بين "عايد " و " الرّاعي " ، و هذا الأخير أي : الحوار يتضمّن أخبارا تهمّ " القارئ " على غرار " عايد " ، كما جاء ذلك على لسان الرّاعي يمكن إيرادها فيما يلي :

-«لا يمكن أن تعرفني ، لا أنت ، و لا غيرك، لكن هناك أخبار تهمّك »[10]ص101 .

- « ابن الشّامبيط عاد من أمريكا »[10]ص102: لاحقة داخليّة متمّمة ، تخبر بقدوم " الشّامبيط " إلى القرية .

- « عاد ليتزوّج الجازية »[10]ص102: لاحقة داخليّة ، تعلن عن سبب قدوم " الشّامبيط" إلى "الدّشرة ".

- « وابن الشّامبيط هذا إذا عاد من قال إنّ الجازية تقبله زوجا لها ؟! » [10]ص102: سابقة داخلية ، تشكّك في تحقّق مشروع زواج ابن " الشّامبيط " بالجازية .

- « تقبله مرغمة ، إنّ أحابيل الشّامبيط إذا نصبها لأحد ، لن ينجو منها ، من قبل كان يخشى ابن الجبايلي ، و ابن الجبايلي الآن في السّجن ، لا يستطيع فعل شيء ، ثمّ من بعده خشي الطّالب الغريب»[10]ص103: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تخبر ببطش و مكر " الشّامبيط " .

- « الطّريق ضيّق ملتو ، يصعب معه الصّعود على من لم يتعوّد ، بدا لعايد أنّ الهبوط أصعب من الصّعود ، تكفي عثرة لدى أحد المنعرجات ، ليجد المرء نفسه في الهاوية ، تعجّب " عايد " من مرونة

حيوانات تلك النّاحية : بغال، حمير، خيل، بقر، كلّها تسلكه بصورة عادية لا تعثر و لا تحيد »[10]ص104: لاحقة داخليّة متمّمة ، يصف من خلالها " السّارد" الطّريق إلى عين المضيق ، المكان الّذي سقط فيه " الأحمر" .

- « قبيل عين المضيق بخطوات ، وقف و حاول أن يتخيّل شخصا يدفع آخر من هناك ، بدا له ذلك مستحيلا، لأنّه إن حاول دفعه يقف صخرعال يقيه من الهاوية، أمّا لو تصارع شخصان هناك مثلا ، فإنّهما إن سقطا يسقطان معا في الهاوية ، ثمّ حاول أن يتخيّل نفسه مقبلا من جهة العين في اتّجاه الدّشرة، لا يمكن لشخص مطلقا أن يدفعه من الوراء هناك، لأنّ الطّريق مصعد، أمّا لو جاء قطيع من بقر أو كباش أوغيرها، فإنّ من العسير على من يكون هناك أن يجد ما يلوذ به، بل الغالب أن يسقط في الهاوية، حيث تتربّع صخرة عظيمة على بعد نحو من العشرين مترا، و هي الصّخرة الّتي وجد الطّالب عليها قتيلا، وقد اندقّت عظامه »[10]ص104،105: لاحق داخليّة متمّمة، تتضمّن تفسيرات مختلفة للسّقوط في عين " المضيق" ، و تجعل وعورة الطّريق مبرّرا لسقوط "الأحمر"، و براءة للطيّب من تهمة قتله .

- « قرّر أن يصعد إلى الدّشرة في الحال »[10]ص105: سابقة داخليّة، تمهّد للمقطع الموالي .

3·4.1– الّتنافر الزّمني في المقطع الثّالث :

يشغل " الحوار " الجزء الكبير من هذا المقطع، و نحصي فيه عددا من اللّواحق و السّوابق نعرضها فيما يلي :

- « في موضوع الجازية فكّرأن يقول لابن الجبايلي إنّه أساسا جاء من أجلها ، ثمّ علم بما جرى و بخطبتها للطيّب،عدل عن مشروعه الأوّل ... و هو الآن يرغب في الزّواج بحجيلة إن قبلت هي و قبلوا ، إنّ زواجا مثل ذلك سيحقّق له أملا صغيرا من بين الآمال العريضة الّتي حفّزه على بنائها حديث أبيه في أرض الغربة»[10]ص106: سوابق داخليّة ، تعلن عن عزوف "عايد " عن زواجه بالجازية ،و عزمه على الزّواج بحجيلة .

- « فقيل له : إنّها فرقة سينمائيّة، جاءت لتصوّر فيلما عن الدّشرة قبل أن يرحل السكّان إلى القرية الجديدة، الّتي هي بصدد البناء» [10]ص108: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تعرّف بما جاء في اللّاحقة الّتي قبلها .

- « أمّي أرسلت في طلبها العجوز عائشة»[10]ص109: لاحقة داخليّة متمّمة، تسدّ ثغرة في السّرد الحاضر (الحوار)، و على غرارها اللّاحقة التّالية:«بكلّ سرور،من أجلها عدت إلى البيت هذا الوقت »[10]ص109.

- « لم أعد من أجل القهوة ... و إلّا كنت شربتها بمقهى الدّشرة »[10]ص109: لاحقة داخليّة

تكراريّة ، تسحب ما جاء في اللّاحقة المذكورة آنفا .

- « أحسّ عايد أنّ شيئا يتدفّق حياة حالمة تجري في عروقه ، أحسّ– أيضا – كأنّ نداء خفيّا يصل إلى وجوده الدّاخلي آتيا من عيون حجيلة »[10]ص110: لاحقتان داخليّتان متمّمتان ، يصف من خلالهما "السّارد" عواطف " عايد" التّي هزّتها كلمات " حجيلة " مثل العواصف .

- « إنّه مضطرّ لكبت مشاعره الجنسيّة، رغم كلّ عنت يجده في ذلك ... لا لن يكون ذلك ، لن تحصل منه خيانة، لا لصديق أبيه ، و لا للفتاة ، ... إنّه يدرك ما يملك من قدرة على إغرائها و جرّها إلى التفتّح إليه، لكنّه لن ينفع ذلك، سيكون أمينا عليها أكثر منها على نفسها، إذا قدر له أن ينال منها شيئا ، فليكن ذلك بالصّورة المشروعة الّتي ترضى ما تواضع عليه النّاس من آداب »[10]ص110،111: سوابق داخليّة ، تكشف عن نزاهة " عايد" و أصالته، و تنبئ ، بل تعلن عن نيّته في الزّواج بحجيلة.

- « ... حيث التقينا لأوّل مرّة »[10]ص116: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة، تعيد التّذكير بحدث تمّ وروده فيما سبق من السّرد (في المقطع الثّالث من الوحدة السّردية الثّانية) ، و ذلك لتأكيد عمق أثره في نفس " حجيلة " .

- « جاؤوا ليصوّروالدّشرة ، قبل أن يرتحل السكّان منها»[10]ص117: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة تعيد التّذكير بمهمّة السّينمائيّين في القرية، و تؤكّدها اللّاحقة الدّاخلية التّالية : « سينمائيّون جاؤوا يصوّرون القرية »[10]ص117.

- « السّينمائيّون هم الّذين يشتغلون في السّينما، و هي آلة تعرض فيها الأفلام »[10]ص117: لاحقة داخليّة غريبة عن الحكاية، تعرّف بشخصيّة جديدة في الرّواية .

- « الدّشرة هي جنّتنا وهي سجننا، لا يستطيع أحد أن يخرجنا منها »[10]ص117: سابقة داخليّة ، تعلن عن فشل مشروع القرية الجديدة، الّتي خطّط لها " الشّامبيط " ، كما تعلن عن استمراريّة الماضي إلى المستقبل .

- « خطر بباله ، أن يخبره أوّلا بأنّه ذهب اليوم إلى عين المضيق، حيث قتل الطّالب ، و يخبره بكلّ ملاحظاته بخصوص تلك القضيّة »[10]ص118: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تبرز قيمة ما توصّل إليه " عايد " عندما ذهب إلى المكان الّذي وجد فيه الطّالب مقتولا .

5.1– التّنافر الزّمني في الوحدة السّرديّة الخامسة :

1.5.1– التّنافر الزّمني في المقطع الأوّل :

يشمل هذا المقطع الممهّد للوحدة السّرديّة الخامسة ، على الزّمن الحاضر ، الّذي تمثّله – في كلّ مرّة – العودة إلى السّجن، أي: وجود"الطيّب"في الزّنزانة: « أنت الآن لا تحتاج إلى تفكير »[10]ص119، و تتخلّل حاضر السّرد في هذا المقطع عدّة لواحق و سوابق ، يمكن إيرادها

فيما يلي :

- « سيملأ بثرثرته كلّ حواسّك »[10]ص119: سابقة داخليّة ، تكشف عن شخصيّة " الشّاعر" العائد من المستشفى إلى السّجن .

- « ربّما من جرّاء المرض الّذي نقل بسببه إلى المستشفى »[10]ص120: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة، تعيد التّذكيربحدث ماض، ورد ذكره فيما سبق من السّرد (في المقطع الأوّل من الوحدة السّردية الثّالثة)، أي : يعود " الطيّب " إلى نقطة زمنيّة ماضية ، لترسيخ الحدث الّذي تمّ ذكره فيها، في ذهن "القارئ " ، وليربط –أيضا – الوحدة السّردية الخامسة ، بالوحدة السّردية الكبرى الثّالثة ، حتّى لا تكون هوّة بين الوحدتين ، و إن انفصلتا بالوحدة السّردية الرّابعة .

- « قد يكون هذا الشّاعر شادّا، أغضب الّذين هم في حاجة إلى الانشغال بنعم اكتسبوها والأعين نائمة، أوربّما أراد أن يلفت الأنظار إليه ليس إلّا ! »[10]ص120: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، ذات وظيفة إعلاميّة ، يقدّم " السّارد" من خلالها تخميناته فيما يتعلّق بسجن " الشّاعر " .

- « ألفات رفيقي الّذي لم تصل به إلى الباب »[10]ص120: لاحقة خارجيّة مضمّنة تكراريّة ، تذكّربما تمّ إيراده فيما سبق من السّرد (في المقطع الزّمني الرّابع من الوحدة السّردية الأولى)، و هي نقطة زمنيّة بعيدة عن نقطة السّرد، يستعين بها " السّارد" لخرق حاضره، والسّفر بعيدا إلى غيابات الذّاكرة ، وتؤكّد هذه اللّاحقة ، لاحقة داخليّة أخرى، و هي قول " الطيّب " : « فكّرت بحزن في موت ذلك السّجين وحيدا »[10]ص120.

- « لكن نظري إلى الألفات ، شكّل أمامي صورة الأحمر لا صورة السّجين »[10]ص120: لاحقة خارجيّة تامّة ، يخرق بها " الطيّب " حاضره،و يطابق بين الزّمن الحاضر و الماضي ، فيصيرا زمنا واحدا هو الماضي .

- « أرى جثّته على صخرة ، أسفل عين المضيق، عيناه مفتوحتان تحلمان بشمس لن ترياها »[10]ص121: لاحقة خارجيّة تامّة، تعيد التّذكير بحدث مقتل " الطّالب " ، و هو حدث تمّ ذكره من قبل ، في المقطع الثّاني من الوحدة السّردية الأولى .

- « أرى زردة ضخمة حول زمزم، دراويشها يهتفون بنايلة ، وإساف، العشيقين اللّذين كتب عليهما المسخ، ثمّ القداسة ... و تبدوا لي نايلة في صورة الجازية، وإساف في صورة الأحمر»(6): لاحقة خارجيّة، توضّح بعض ملامح شخصيّة " الجازية " و " الأحمر" باعتبار الماضي القريب ، يستدعي الماضي البعيد .

- « أرى الشّامبيط في لباس شريف أمريكي، يقود العجوز عائشة بنت سيدي منصور إلى حلقة الرّقص حول زمزم »[10]ص121: لاحقة خارجيّة جزئيّة تامّة ، وظّفت جزافا.

و ينتهي هذا المقطع بالزّمن الحاضر ، ليستريح فيه " السّارد " و على غراره " القارئ " من كثرة الانتقال و القفز من الحاضر إلى الماضي ، و من الماضي إلى الحاضر ، و من الماضي القريب إلى الماضي البعيد – أيضا - ، ذلك القفز الّذي أتعب " الطيّب " حيث يقول : « أشعر بالدّوار ... هل أنا مريض؟! »[10]ص121، و يقول : « تتكثّف سحب الماضي في نفسي ،أختنق ، أنظر حوالي فلا أرى سوى الشّاعر الممتدّ على السّرير القذر»[10]ص121. على الرّغم من قصر المقطع الأوّل ، إلّا أنّه احتوى أسماء شخصيّات جديدة ، فضلا عن شخصيّة " الشّاعر"الّتي غابت عن مسرح الأحداث ، و لم يأت ذكرها سوى في المقطع الأوّل من الوحدة السّرديّة الأولى:«حظّك سعيد ، معك في هذه الحجرة شاعر، نقل إلى المستشفى للفحص ثمّ يعود »[10]ص07، و في المقطع الأوّل من الوحدة السّرديّة الثّالثة :« الشّاعرلم يعد ... سيقيم أسبوعا بالمستشفى، تحت الرّقابة ، حالته الصحيّة سيّئة»[10]ص55، و في نهاية المقطع الأخيرمن الوحدة ذاتها :« غدا يعود الشّاعر» [10]ص94. إنّ شخصيّة " الشّاعر" ليست معروفة بالنّسبة إلى" الطيّب " ، وإلى " القارئ " ، و بالقدر الّذي غابت فيه عن الحاضر السرديّ ،غابت ملامحها عن ذهنيهما .

2·5.1– التّنافر الزّمني في المقطع الثّاني :

يعود "الطيّب" في هذا المقطع إلى حاضر جديد ، هو " الحكمة" الّتي طوى فيها صفحات ماضيه، فيقول:«تتطوي المسافات،والفضاءات،والذّكريات ، و أسمع صوتا بغيضا يعلن ، محكمة »[10]ص121، وعلى خلاف المقطع الأوّل ، تأتي البنية الزّمنية للمقطع الثّاني في أغلبها في الزّمن الحاضر ، فلا نجد فيه سوى بعض اللّواحق و السّوابق ، نعرضها كالآتي :

- « ... أنت متّهم بالقتل ... »[10]ص121:لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ،تثبت تهمة القتل على"الطيّب" .

- « حكمت المحكمة بسبع سنوات سجنا على المتّهم مع التّنفيذ الفوري ... »[10]ص121: سابقة داخليّة ، تعلن عن المدّة الّتي سوف يقضيها " الطيّب " في السّجن .

- « أنا في السّجن منذ الولادة »[10]ص122: لاحقة خارجيّة، بعيدة المدى تقدّر بعمر"الطيّب"الّذي نجهله.

- « أنت حكمت حكما ألف حيثيّاته الدّراويش، و صادق عليه أعيان الدّشرة وأولياء السّبعة ...أنت واسطة بين تقاليد الدّشرة ، و تقاليد السّجن»[10]ص122:لاحقة خارجيّة تامّة ، تطابق بين الماضي والحاضر،وتجعل منه استمراريّة للأوّل .

- « أحد القرويّين جاء يطمئنني، وأنا أقاد إلى السّجن ، قال : لا تخف بالسّجن تصير رجلا »[10]ص122: لاحقة خارجية تامة ، تبرز عمق أثر هذا الحدث في نفس " الطيب" .

- « السّجن الّذي كان يجعل من الضّعاف رجالا أقوياء، سجناؤه كانوا أحرارا، و حرّاسه عبيدا ، كانت أناشيد الحرّية فيه تتحدّى السّلاسل و المقاصل، كان أهله معنيّين بما يجري خارج جدرانه»[10]ص123: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات عن السّجن إبّان الاستعمار .

3·5.1– التّنافر الزّمني في المقطع الثّالث :

يعود "الطيّب" في هذا المقطع إلى ماضيه ،الّذي ألفه " القارئ" ، ليحطّ الرّحال بذكرياته في الحدث العظيم و الرّهيب الّذي شهدته القرية، و المتمثّل في رقص "الأحمر" مع "الجازية" ، و ذلك من خلال اللّاحقة الخارجيّة التامّة التّالية : « قرية كاملة ، اهتزّت من أقصاها إلى أقصاها، لرقصة فلكلوريّة قام بها فتيان » [10]ص123، و ينقل حالة الرّعب الّتي أصابت أهل القرية ، بعد الحدث في اللّاحقة الجزئيّة الآتية : « بعض القرويّين انتظروا خروج الدجّال والدّابة و نزول عيسى، و الشّمس تطلع من المغرب ... جدّنا القديم " أبلى"عندما يقيم حفلاته الصّاخبة السّكرى لم يخطر على باله قيام السّاعة،كان أذكى منّا »[10]ص123، و في لواحق خارجيّة جزئيّة ، ينقل " الطيّب " تعليقات بعض أهل الدّشرة اتّجاه رقص " الأحمر" مع " الجزية " ، وهي قوله : « الأعيان منهم قالوا لأبي: شرفك من شرف القرية ، لست وحدك الملطّخ بالعار ... تريّث ، السكّان خافوا ،الرّعاة غضبوا »[10]ص123 .إنّ حاضر " الطيّب " لا يتّسع للماضي فقط، و إنّما يشمل الأحلام والآمال والتّنبؤات ، الّتي نحصي بعضها فيما يلي :

- « سكّان الدّشرة عندما رأوا الجازية والأحمريلعقان المناجل،توقّعوا قيامها في اللّحظات الموالية »[10]ص123: سابقة خارجيّة ، تلمّح إلى هول الحدث .

- « حروق المنجل الّذي لعقته ستبقى في لسانها إلى الأبد، لن تمحى الذّكرى »[10]ص124: سابقة خارجيّة ، تعلن عن عمق أثر ما حدث في الاحتفال الّذي أقيم في " الدّشرة " .

- « الجازية أثبتت للمتطوّعين أنّ الدّشرة ليست فقط الأولياء والدّراويش و الماضي ، هي بالدّرجة الأولى الشّباب الّذي يسبغ على الحياة لونها المشرق ، هي الحلم ! بلا حلم تصير الحياة عجوزا »[10]ص124: سابقة خارجيّة ، تكشف عن حقيقة ما أقبلت عليه " الجازية " في الماضي ، و تعلن عن تطلّعاتها "المشرقة ، وهي الحياة الأفضل ، الّتي لن تتحقّق إلا بسواعد الشّباب .

و في نفس الموضوع (رقص " الأحمر" مع " الجازية ")، ينقل " السّارد " الحوار الّذي دار بين " الأخضر" و" صافية" وقد انتهت " الزّردة " ، و يعدّ لاحقة خارجيّة يدلّ عليها قول " الطيّب ":« سمعت هذا الحوار بحروفه و أصواته المرّات العديدة مسجّلا على شريط»[10]ص125، و نجد بين أسطر هذا " الحوار" بعض اللّواحق الدّاخلية نعرضها فيما يلي :

- « دخلت وسط نسائهم ، وجذبت الجازية لترقص معك »[10]ص124: لاحقة داخليّة متمّمة ، تعيد

التّذكير بما فعله " الأحمر" في الزّردة مع " الجازية " .

- « أبو الجازية شهيد »[10]ص124: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تقدّم معلومات عن والد " الجازية " .

- « ثمّ إنّ رقصك معها كان مثيرا »[10]ص124: لاحقة داخليّة متمّمة، تتمّ ما جاءت به اللّاحقة الدّاخلية السّابقة.

و بعد أن أنهى " السّارد " الحوار الّذي نقله عن " الأحمر " و " صافية " يعود إلى ماض أبعد بكثير عن الزّمن الّذي جرى فيه الحوار، فيتذكّر مقتل الطّالب "الأحمر" و المناجل و الصّفصاف وذلك من خلال اللّاحقة الخارجيّة التّالية:« الأحمر و أحلامه الحمراء، مناجل القمح تحمى الألسنة ، الصّفصاف الطّويل، أغاني المغامرة تدندن بها شفاه القرويّات، والصّخرة حيث رأيت الأحمر جثّة هامدة ... كلّ ذلك يمثّل أمامي »[10]ص125، ومرّة أخرى يعود "السّارد" إلى حاضره المحصور في زنزانة السّجن، التّي لا تضيق بذكرياته المكثّفة، فنسجّل في حضن الحاضر تنقّلات زمنيّة متعدّدة ، من الحاضر إلى المستقبل تارة ، و من الحاضر إلى الماضي تارة أخرى، نوردها فيما يلي :

- « لا يا رفيقي لن تستطيع ، تركت السّهل الخصب، و جئت تغرس حلمك في الصّخر، الجبل يرفض أن ينبت غير الضّباب » [10]ص126: سابقة خارجيّة، تعلن عن صيرورة أحلام " الأحمر" إلى هباء منبثّ ، في قرية راسخ فيها ماضيها ، رسوخ الجبل الشّامخ .

- « لكن رقصك أدخل البهجة في نفوس القرويّات ، المراهقات منهم و العانسات، لم تعد منذ تلك اللّيلة الحمراء، حياتهنّ رتيبة متكرّرة، كلياليهنّ وأيامهنّ، وإصباحهنّ وعشاياهنّ »[10]ص126: لاحقة داخليّة ، تصف بعمق أثر رقص " الأحمر" مع " الجازية "في نفوس نساء القرية .

- « إنّ منجلك الأحمر غيّر عالمهنّ الوجداني، لم يكنّ يعرفن أنهنّ يزخرن بكلّ تلك العواطف ، كان الصّفصاف لديهنّ هو النّموذج الأعلى للحلم، لكنّه كان لا يهتزّ لنظراتهنّ الحالمة و لا الدّامعة،عواطفهنّ لم تكن تفيض ، كانت تغيض في مسار الأيّام الرّتيب »[10]ص126: لاحقة خارجيّة تامّة ، تتمّ ما جاءت به اللّاحقة السّابقة .

- « ثمّ جئت يا الأحمر، جئت و رقصت و صرت صفصافا من نوع جديد، صفصافا ذرويّ الورق، فريكيّ القسمات،راقصت الجازية ، و يقال إنّك قبّلتها أيضا ... لعقتما منجلا واحدا فاحترقتما، أنت متّ ، لكنّ الحياة لم تمت ، و الجازية حياة، أمّا أنا فقد كنت غبيّا »[10]ص127: لاحقة داخليّة جزئيّة ،تذكّرنا بقدوم " الأحمر" إلى القرية ، وبرقصه مع " الجازية " ، وتذكّرنا بمصيره" الجازية " .

- «عندما يكون المرء ليس عنصرا في المأساة و لا ممثّلافيها لدور، فهو متفرّج غبيّ »[10]ص127: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تقدّم معلومات تكشف عن شخصيّة " الطيّب" و تبرز موقفه من كلّ الأحداث .

4·5.1– التّنافر الزّمني في المقطع الرّابع :

نلاحظ في هذا المقطع عودة "الطيّب" إلى حاضره الجديد، المتمثّل في المحكمة : « محكمة ، سيّدي الرّئيس ... أقسم لك سيّدي الرّئيس ... أحمل في رأسي أربعة عشر قرنا من الصّبر و القناعة والمكتوب، عيناي أنا ها همتان، أنظر إليهما، إنّهما ممتلئتان بالماضي »[10]ص127، و على الرّغم من تغيّر حاضر " الطيّب " من زنزانة السّجن إلى المحكمة ، إلّا أنّ ماضيه و ذكرياته يرافقانه و يلازمانه أينما حلّ ، فيستحضر في هذا المقطع أحداثا على غير انتظام، يمكن التعرّف عليها من خلال سلسلة من اللّواحق وبعض السّوابق نعرضها كالآتي :

- « الطّالب المتطوّع، قتله حلم أحمر ، في قرية أحلامها خضراء، الأحمر ليس لونا لإصلاح الدّشرة ، و لا لمآسيها، هو لون المغامرة... حدّثها عن حلمه الأحمر، أكثر ممّا حدّثها عن الطّريق إليه ... هو كان مغامرا »[10]ص127: لاحقة داخليّة جزئية ، تقدّم معلومات من شأنها تفسير بعض الغموض الذي اكتنف مقتل " الأحمر" .

- « أعاهدك يا رفيقي، سأرسم لك قوس نصر في جدار من جدران هذا السّجن بأظافري، قوس نصر من منجلين التقيا، منجل فلّاح و منجل درويش »[10]ص128: سابقة داخليّة يخترق بها " السّارد" ماضيه، و يتعهّد بتخليد ذكرى " الأحمر".

- « أتذكّر ذات صباح من أيّامه الأولى بيننا ... وقف بالباب فرأى الأفق لا يبعد عنه بأكثر من أمتار... عاد إلى الحجرة يتأمّل الجدران المبيّضة بالجبس الخام، لم يجد ما يتلهّى به »[10]ص128: لاحقة داخليّة جزئيّة ، يستحضر"الطيّب" من خلالها أيّام الطّالب "الأحمر" الأولى في القرية .

- « لم يكن يحسن الجلوس على الأرض مثلنا نحن القرويّون »[10]ص129: لاحقة داخليّة جزئيّة، يصف فيها " السّارد " جلوس " الأحمر"، مبرزا بعض الفوارق بين شخصيّته ، و شخصيّة القرويّين.

5·5.1– التّنافر الزّمني في المقطع الخامس :

ينقطع " الطيّب" في هذا المقطع عن ماضيه ،بفعل تدخّل" الشّاعر" الّذي عاد من المستشفى إلى السّجن:« قطع أفكاري الشّاعر »[10]ص129، ونسجّل في مطلعه لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة، تذكّرنا بعودة "الشّاعر" إلى السّجن:«منذ أن عاد من المستشفى لم يكلّمني بكلمة ، لم ينظرإليّ حتّى النّظر» [10]ص129، وينقل لنا "الطيّب"الحوار الّذي جرى بينه و بين " الشّاعر"، و الّذي جاء في شكل سؤال و جواب ، نتعرّف من خلاله على بعض جوانب حياته ، الّذي لم نعرف عنه شيئا منذ أن ذكر اسمه (الشّاعر)في بداية الرّواية ، ونحصي فيه عددا من اللّواحق و السّوابق ، نورد بعضها فيما يلي :

- « أرسلتني إلى ما وراء الطّبيعة »[10]ص131: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، يخبر" الشّاعر" من خلالها بمن كان سببا في سجنه .

- « ما وراء الطّبيعة حيث ينعدم الزّمن ، و تبقى الأحداث قارّة مجسّمة بأربعة أبعاد، مشاهدها لا تفوت الرّائي، يستعيدها إذا شاء ألف مرّة »[10]ص131، لاحقة خارجيّة غريبة عن الحكاية ، تعرّف بالسّجن .

- « أهل الكمون هم متصوّفة مسلمون »[10]ص131: لاحقة داخليّة غريبة عن الحكاية ، تعرّف بشخصيّة جديدة .

- « بيكاسو، فرانكو، ألّيندي، بينوشي، راسبوتين، لبينين، سالزار، إميل كاركابرال، عرفات ،بيغن، شيوخ البيترول والخميني، ناصر و السّداة، و بوجو، الأمير عبد القادر، غاندي، هتلر، لمونبا، تشومبي، بومدين، باش آغا بوعلام ... كلّهم خلقوا دفعة واحدة، ووضعوا في آدم ... أنت ، أنا ، السجّان، النّقابة، الخنساء، صاحبة الرّاية ، الجميع دفعة واحدة »[10]ص133: لاحقة داخليّة غريبة عن الحكاية، تقدّم شخصيّات جديدة في الرّواية .

- « ثقافتك لا تغنيك عن الالتزام بقرويّتك، لا بدّ أن يقتل هذا الغريب الّذي جاء يزرع أحلامه الحمراء في جبلنا الأخضر، يريد أن ينقلنا إلى زمن لا نعرفه »[10]ص131: سابقة خارجيّة ، تنبئ بمقتل " الأحمر" .

- « أقول لك إذن أشياء أدركتها هنا في السّجن ،أشياء بسيطة لكنّ النّاس لا يفهمونها بسهولة ، لو مشيت أمام جميع النّاس إلى الوراء ولو ضحكوا عليك، أنا شخصيّا جربت ذلك ، مشيت إلى الوراء لأعرف ردّ فعلهم، ضحكوا ، بل وسموني بالمجنون ، لكن إذا كان تفكيرك، و عقلك، و حكمك على الأشياء ورأئيّا وماضويّا لا يضحكون،بيد أنّ المشي إلى الوراء أهون من مصائر النّاس من التّفكير الورائيّ »[10]ص131،132: لاحقة داخليّة متمّمة ، تشرح السّابقة المذكورة قبلها .

- « قلت مرّة للنّقابة : يجب وضع كلّ الرجعيّين في المستشفيات للأمراض العقلية، لأنّهم مرضى كمرضى الأعصاب، بل مرضهم أشدّ إذاية للمجتمع » [10]ص132: لاحقة خارجيّة جزئيّة، ينقل فيها الشّاعر كلام الطيّب .

- « أتذكّرأنّي قلت له ذات ليلة: إنّ الدّشرة لا تستطيع أن تصبرمالا نهاية على استفزازاتك »[10]ص133،134 :لاحقة خارجيّة تامّة، تتضمّن سابقة داخليّة ، تنبئ بمصير الطّالب " الأحمر" .

- « و كان الحديث يدور بيننا، حول رحيل الدّشرة من الجبل إلى السّهل، القرية الجديدة الّتي يساندها "الشّامبيط" و يسعى لتبنى في أسرع وقت ممكن، ليرتحل السكّان إليها ، لم يكن يأبه بها ، و لا يعلّق عليها أدنى أمل ... كان يودّ قرية أخرى من نوع آخر يشارك هو في وضع تخطيطها مع رفقة ممّن

يثق بهم» [10]ص 134: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات عن مشروع " الشّامبيط " و أحلام " الأحمر" .

- « بالنّسبة للسكّان، إنّها تمثّل ماضيهم ، و ماضي أجدادهم، إنّها كلّ شيء عندهم »[10]ص134: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تبرزمكانة القرية في قلوب القرويّين .

- « أختي راقها التّعبير، قالت مؤيّدة : ينفجركلّ شيء،المساكن، والحيوانات، السكّان ، العين ،الصّفصاف ، الجامع، الجبل ...كلّ شيء و تعلو نار حمراء، تحمرّمنها ا لأفاق المحيطة بنا، ويرى لهيبها من آلاف الأميال، حتّى يعلم النّاس في كلّ مكان ، أنّه وقع هنا انفجار ضخم ، لم تعرفه الدّنيا ، ما أجمل أن ترى العين ذلك ! »[10]ص135،136: لاحقة داخليّة جزئيّة ، تتضمّن سابقة داخليّة ، تنبئ بوقوع أمر مهيب في بيت " الطيّب" .

- « لم أكن من أهل الماضي ، و لا من أهل المستقبل، كنت الصّفر الّذي تلتقي فيه الأزمنة »[10]ص137: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، ذات وظيفة إعلاميّة ، تبرز موقف " الطيّب " المحايد من الأحداث.

- « قال : أنت تفكّر في المستقبل، و تمشي إلى الماضي»[10]ص137: لاحقة خارجيّة جزئيّة، ذات وظيفة إعلاميّة .

- « هذا الّذي كان يعدّ أيّامه هنا غبيّ »[10]ص138: لاحقة داخليّة متمّمة، تصف حالة السّجين .

- « بالسّجن لا تعدّ الأيّام، تعدّ الغلطات»[10]ص138: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة، تؤكّد تجربة "الشّاعر" في السّجن .

- « تحدّث عن أشياء كثيرة، تدور حول قوّة الضّعفاء الّتي لا يحسنون استعمالها»[10]ص138: لاحقة داخليّة متمّمة ، تملأ فجوة من فجوات السّرد .

6.5.1– التّنافر الزّمني في المقطع السّادس :

يدور هذا المقطع حول اختفاء " الأحمر" عن أنظار أهل الدّشرة، و يحتلّ الجزء الأكبر من الوحدة السّردية الخامسة ،وتتوالى فيه صور الماضي على ذهن السّارد، منبعثة من خزّان الذّاكرة الّذي لا ينفذ، ففي لاحقة خارجيّة جزئيّة يقدّم معلومات عن " صافية " الطّالبة المتطوّعة ، فيقول : «ذكّرني انكماشه وتدخينه في صافية، صبيحة الزّردة الرّهيبة ... هي أيضا كانت منكمشة، وهي في قميص النّوم، دخانها يعلو في خطّ متكسّر، وجهها شاحب حزين»[10]ص135، ويواصل "السّارد" في تقديم المعلومات المتعلّقة بصافية ، وذلك من خلال لاحقتين خارجيّتين جزئيّتين أخريين وهما ، قوله :« كانت رزينةذكيّة لا تنتقد ا لآخرين،في الواقع منذ أن دخلت بيتنا أشعّت في نفسي أملا في حياة أخرى غيرالّتي عرفتها، و غير الّتي تخيّلتها لو تزوّجت بالجازية»[10]ص139، و قوله

-أيضا - : « صافية كانت هادئة، منطقيّة ، بالرّغم من الصّورة الزّائفة الّتي ارتسمت عنها في أذهان أهل الدّشرة »[10]ص139، و فضلا عن وصفه "صافية " ، يكشف عن إحساسه نحوها في اللّاحقة الخارجيّة التّالية :«كان إحساسي نحوها يتضخّم بصورة لا إرادية ، إلى درجة أن صار حضورها في نفسي ، يلغي كليّة أحيانا حضور الجازية ، وبقدر ما كان يسخطني الأحمر في انشغاله بحجيلة و الجازية ، بقدر ما كنت أغتبط من عدم اهتمامه الكبير بصافية »[10]ص139. هذا ،و يواصل " الطيّب" في نقل ذكرياته من غير ملل، مغيّرا في كلّ مرّة محطّته الزّمنية، فتارة يتذكّر حدثا ماضيا تنقله اللّواحق ، و تارة يتذكّر حدثا مستقبليّا تنقله السّوابق ، وتجدر الإشارة إلى ما تفعله تنقّلاته المختلفة والمتغيّرة في البنية الزّمنية للرّواية، حيث تكسّرها و تشوّش نظام أحداثها على " القارئ" حتّى يكاد لا يفهم، و لا يضبط منها شيئا، وفيما يلي نحصي عددا من تلك التنقّلات الزّمنية :

- «الدّشرة مقبلة على ليل طويل »[10]ص141: سابقة خارجيّة، تنبئ بحدوث كارثة في القرية .

- « قال أبي معلّقا على اندهاشنا :لم يبق شيء في الدّشرة ... حتّى التّراب جرفه السّيل ، جهود سنوات ذهبت بها ساعة غضب»[10]142: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تقدّم معلومات حول الكارثة الّتي حلّت بالقرية، وتؤكّدها اللّاحقة الخارجيّة الجزئيّة التّالية:« إنّ معظم البيوت تهدّمت وجرّها السّيل من عاصفة البارحة »[10]ص142.

- « دور تهدّمت عن آخرها، و تركت الرّصيف الحجري الّذي بنيت فوقه عاريا، بيوت خرى لم يبق فيها سوى الجدان، أخذت منها العاصفة سقوفها، الخضرة زالت عن البساتين والتّراب ،وأصبحت مشاهد قمريّة أصيبت بكارثة حقيقيّة » [10]ص142،143: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تصف ما حلّ بالدّشرة .

- « عودي يا امرأة إلى البيت، حتّى يأتي الشّامبيط، ليس لك مكان بين الرّجال ، أما يكفيكم ما جلبتموه لنا من كوارث؟ ، لقد غضب الله علينا، وغضب أولياء المقام »[10]ص143: لاحقة خارجيّة تامّة ، تتمّ ما جاء في اللواحق المذكورة آنفا .

- « عودي إلى البيت، لن نراك بعد اليوم في هذا المكان، وإلّا حلّت بنا كارثة أخرى لا تبقى ولا تذر»[10]ص143: سابقة خارجيّة ، تعلن عن تخوّف أهل القرية من حلول كارثة أخرى،إن بقي الطّلبة المتطوّعون بها .

- «قالوا له صراحة، إنّ ما حلّ بهم كان بسببه»[10]ص144: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تؤكّد أنّ ما فعله " الأحمر" هو سبب الكارثة .

-«لا يمكن وضع أيّ شيء في رؤوس هؤلاء القرويّين، إنّها مملوءة بالمعتقدات السّخيفة»[10]ص145: سابقة خارجيّة ، تعلن عن فشل الطّلبة في مهمّتهم الّتي قدموا من أجلها إلى

القرية .

- « قال لها و هو يرتشف قهوته: التطوّع انتهى بالنّسبة إليّ هذه السّنة ...» [10]ص146: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تعلن عن المدّة الّتي مكث فيها الطّلبة في القرية .

- « الأحمر كان مقيما في دارنا، و رقصه مع الجازية حتّى لو كانت خطيبتي، مبرّر بالإقامة بيننا ...ثمّ إنّه طالب من المدينة، رقص مجاراة لتقاليد القرية، لا حبّا في الرّقص، ولا من أجل الجازية... بالنّسبة له رقصه مع الجازية، يشبه الرّقص مع أيّ طالبة ، الدّليل أنّه لم يبق معها، ولم تتعلّق هي به... »[10]ص148: لاحقة خارجيّة جزئيّة، ذات وظيفة إعلاميّة، يفسّربها "الطّالب" و يبرّر رقص " الأحمر" مع " الجازية " .

- « ما ينتظرني إن بقيت في الدّشرة السّقوط على حدّ تعبير أبي »[10]ص149: سابقة خارجيّة، تنبئ بمصير" الطّالب" .

- «على أن أرتّب أموري، أعود مرّة أخرى إلى الجازية، أقول لها ما قالته لك قارئة الكفّ إن هو إلّا أوهام،أريدك زوجة، نغادر الجبل،نسكن قرية جديدة، نبنيها معا بمساعدة ملايين الشّبّان الّذين يفكّرون مثلنا»[10]ص149،150: سابقة خارجيّة، تكشف عن حلم "الطيّب" في الزّواج بالجازية، وهو الأمر الّذي تسحبه السّابقة الخارجيّة التّالية: «لكن إذا رفضت الجازية الزّواج منّي أتحدّث إلى صافية ،أخطبها»[10]ص150، الّتي تحمل مشروعا بديلا وهو الزّواج بصافية، وهو ما تؤكّده السّابقة التّالية :« إنّه برنامج عظيم لو تحقّق »[10]ص150.

6.1– التّنافر الزّمني في الوحدة السّردية السّادسة :

1·6.1– التّنافر الزّمني في المقطع الأوّل :

يستأنف "السّارد" في هذا المقطع الحوار بين "حجيلة" و "عايد " ،الّذي كان قد قطعه بخروج "حجيلة" لمناداة أمّها، في المقطع الأخيرمن الوحدة السّردية الرّابعة، ونحصي فيه عددا من اللّواحق والسّوابق، نوردها فيما يلي :

- « لم تكشف لي عن وجهها، و ضعت عليه لثاما كثيفا، و تركت ثقبة واحدة ترى من خلالها الأشياء ، بدت لي و هي جالسة ملثّمة بلثامها الأبيض،بتلك الكوّة المفتوحة في جانب من وجهها كقبّة والي»[10]ص151،152: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تقدّم معلومات عن " الجازية " .

- « قالت لي و نحن نتحدّث عن الزّواج، أنّها تشترط فيمن يتزوّجها أن لا يشرب إلّا الدّم »[10]ص152: سابقة داخليّة، تمهّد لفشل مشروع زواج " عايد" بحجيلة، و تعلن عن فشله السّابقة الدّاخلية التّالية : « منذ اليوم لن أفكّر فيها »[10]ص152.

- « قالت إنّ خطّابها تحيق بهم الكوارث، قبل أن يتربّع حلم الزّواج في رؤوسهم»[10]ص152:

سابقة داخليّة تنبئ بمصير كلّ من يتقرّب من "الجازية" بنيّة الزّواج منها، و تؤكّد النّبأ اللّاحقة الخارجيّة الجزئيّة التّالية:« صحيح ما قالته لك ، خطبها أبي للطيّ ها هو ا لآن في السّجن ، رقص معها طالب متطوّع في الزّردة قتل ... »[10]ص152.

- «طوّقته فرقة عسكريّة كاملة، لم يكونوا يظنّون أنّه وحده لشدّة مقاومته ، أطلقوا عليه النّار من كلّ جهة...كانوا ألف عسكري»[10]ص154: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تقدّم معلومات حول مقتل والد "الجازية " .

- « عندما قتل حرّم الأعداء دفنه على النّاس، فأكلته الطّيور، لم يرق النّاس أن يقولوا عن أعظم رجل أنّه أكلته الطّيور... قالوا دفن في حناجر الطّيور»[10]ص154،155: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تفسّر وتوضّح ما جاء من خبر دفن والد "الجازية" الّذي ذكر في المقاطع السّابقة من الرّواية دون أدنى تفسير، فقد ألزم "السّارد" "القارئ" بتتبّع تفاصيل دفن والد "الجازية" منذ الصّفحات الأولى من الرّواية، إلى غاية هذا المقطع، وهذه اللّاحقة عبارة – أيضا- عن جواب عن سؤال "عايد" : « كيف دفن في حناجر الطّيور ؟ ! »[10]ص154.

- « إنّ الجازية انتهى رجاؤه فيها، بعد كلّ الّذي حصل»[10]ص156: لاحقة مضمّنة تكراريّة ،تؤكّد تخلّي"عايد" عن مشروع زواجه بالجازية .

- « هي تودّه لها لا للجازية ،ولا لغيرها من القرويّات »[10]ص156: سابقة داخليّة ، تكشف عن عاطفة الحبّ الّذي تكنّه " حجيلة " لعايد، و عن رغبتها في الزّواج به .

- « ألم تحاول كم من مرّة أن تستدرجه إلى مثل هذه التّصريحات؟»[10]ص156: لاحقة داخليّة متمّمة ، تؤكّد ما جاء في السّابقة المذكورة آنفا .

- « إنّه يريد أن يزوّج ابنه بالجازية ، بالرّغم من رفضها ، وعدم موافقة السكّان على ذلك ، و يريد ترحيل السكّان للقرية الّتي هم بصدد بنائها»[10]ص156: سابقة داخليّة ، تكشف عن مشاريع " الشّامبيط" في القرية .

- « لاحظ عايد أنّ السّكن بالقرية الجديدة أفضل من هذه الغيران، هناك يسهل الأخذ بأسباب الحياة الجديدة المتطوّرة،الأطفال يقرؤون،والمرضى يعالجون،والمغتربون يعودون بالأقل لزيارة ذويهم كلّ سنة»[10]ص161: لاحقة داخليّة متمّمة، تذكّر بمزايا القرية الجديدة .

- « هي تريد إعدادها لتيتح الفرصة إلى ابنتها وعايد أن يبقيا معا هناك بالمراح تحت مراقبتها كانت تحسّ" بحاسّة الأنوثة" فيها أنّ شيئا ما سوف يحدث بين عايد و حجيلة، و هي تتمنّى أن تنتهي بهما تلك الأخوّة إلى الزّواج»[10]ص162: سابقة داخليّة، تنبئ بزواج "عايد" بحجيلة .

- « لو لم يكن يرغب فيها ، لغادر الدّشرة منذ أيّام»[10]ص163: لاحقة داخليّة متمّمة ، تؤكّد رغبة

"عايد" في الزّواج بحجيلة .

- «قد تقول لنا في أحد الأيّام،أنّك تريد خطبتها،رغم ما بين أبيك و أبي من صداقة وأخوّة»[10]ص164:سابقة داخليّة ، تكشف عن خوف "حجيلة " على " عايد " .

إنّ عدد اللّواحق والسّوابق الّتي تمّ إحصاؤها في هذا المقطع ، توضّح التنّقل الزّمني غيرالمنتظم لسرد الأحداث، سواء من الحاضر على الماضي (القريب والبعيد)، أوالحاضر إلى المستقبل (القريب أوالبعيد)، ومن خلال الفقرات غيرالمنتظمة للسّرد، يحقّق "السّارد" مبتغاه ، المتمثّل في تشويش تفكير" القارئ"، و منعه من التّركيز لضبط الأحداث .

2·6.1– التّنافر الزّمني في المقطع الثّاني :

يضمّ هذا المقطع حوارا مطوّلا ، جرى بين "عايد " و أحد دراويش القرية ، و نحصي فيه محطّات زمنيّة مختلفة تكشف عن البنية السّردية المتكسّرة للرّواية، تتمثّل في ذكريات الماضي ، وتكهّنات و تنبّؤات المستقبل ، يمكن عرضها فيما يلي :

- « دخلته أوّلا في تجسّم الجازية، يوم أن رآها لأوّل مرّة وهي مقبلة في جمع من النّساء، وهالة الحسن تتقدّمها »[10]ص167: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تعيد التّذكير بحدث ماض ورد فيما سبق من السّرد ، في الوحدة السّردية الثّانية ، فهذه اللّاحقة عبارة عن عودة بعيدة إلى الوراء ،وبالتّحديد عودة إلى اليوم الأوّل الّذي نزل فيه " عايد " بالقرية .

- « هاهو الشّامبيط بدوره يستعيد في هذه الأيّام ... يريد أن يعيد الدّنيا إلى الوراء، و يزوّج ابنه بالجازية ولوبالقوّة، إذا لم ينجح بالحسنى، أرسل اليوم عجلا وستّة أكباش»[10]ص175: سابقة داخليّة، تنبئ بوقوع حدث يشبه الزّردة الّتي أقيمت احتفالا بقدوم الطّلبة المتطوّعين .

- « يريد أن نقيم زردة عشيّة الخميس المقبل ... الخميس المقبل بعد غد ... بعد غد سيحضر هو وابنه الزّردة»[10]ص175: سابقة داخليّة، تعلن عن اليوم الّذي ستقام فيه " الزّردة"، ومداها ثمانية و أربعين ساعة .

- « نصحه الدّرويش بأن يعود من حيث أتى، إنّ الدّشرة مقبلة على أيّام سوداء»[10]ص177: سابقة داخليّة، تنبئ بمصيبة تحلّ بالقرية .

- «إنّ أبي كان من رفقاء أبيها في أيّام شبابهما وكفاحهما»[10]ص178:لاحقة خارجيّة جزئيّة ، ذات وظيفة إعلاميّة .

- « ... سيطلب يد حجيلة»[10]ص179: سابقة داخليّة، تعلن عن "عايد " بحجيلة .

7.1– التّنافر الزّمني في الوحدة السّردية السّابعة :

1·7.1– التّنافر الزّمني في المقطع الأوّل :

يستفتح "السّارد"الوحدة السّردية السّابعة بهذا المقطع بطيئة ، و يحتوي هذا المقطع على حوار دار بين " الطيّب " و " الشّاعر " ، نسجّل فيه بعض اللّواحق ، ناهيك عن سابقة في نهايته ، تحيل إلى المقطع الموالي ، يمكن إيراد ذلك فيما يلي :

- « ترى كيف فعل الّذي ملأ الجدران بنقش عميق لا يزول إلّا إذا سدّ بالجير ؟! »[10]ص175: لاحقة داخليّة متمّمة تعكس مدى عمق تجربة السّجين الّذي كان قبل " الطيّب " .

- « قلت لك من قبل ، بالسّجن لا تعدّ الأيّام ، وإنّما تعدّ الأغلاط»[10]ص182: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تعيد التّذكير بما سبق وروده في السّرد (في الوحدة السّردية السّادسة)، و ذلك لتأكيد تجربة " الشّاعر" و كلّ سجين في السّجن، والمتمثّلة في استعادة الماضي وإحصاء أخطائه، وعدم النّظر إلى المستقبل .

- «إنّه يحبّ الهذيان، و بسبب ذلك سجن»[10]ص182-183: لاحقة داخليّة متمّمة ، تؤكّد طول المدّة الّتي قضاها "الطيّب " في السّجن .

- «لوأعدت استعراضه من جديد لوجدت أزخر فترة فيه هي تلك الأيّام التي قضاها بيننا الطّلبة المتطوّعون، إنّها وحدها الّتي تمثّل نبضا واضحا في إليكتروسكوب الماضي»[10]ص183: لاحقة داخليّة متمّمة ، تؤكّد أنّ الماضي الّذي ملأ حاضر "الطيّب" في السّجن ، هو ما شغلته فترة وجود "الطّلبة" في القرية من أحداث .

- «السجّان مقبل ، خطاه الغليظة تسمع من كلّ الغرف»[10]ص185: سابقة داخليّة ، تنبئ بمجيء " السجّان" إلى غرفة " الطيّب " .

إنّ الأحداث الّتي شغلها هذا المقطع ، لم يكن لها دور في تقدّم حركة السّرد، فقد تعرّف عليها " القارئ" من قبل ، فضلا عن مجيئها متسلسلة، تجري كلّها في الزّمن الحاضر .

2·7.1– التّنافر الزّمني في المقطع الثّاني :

يتضمّن هذا المقطع حوارا مطوّلا جرى بين"الطيّب "و"صافية" الزّائرة ،حوى بدوره عدّة تنقّلات زمنيّة من لواحق ، و سوابق ، نعرضها كالآتي :

- « الأحمر ترك تقريرا هامّا»[10]ص185: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تخبر بما تركه الطّالب " الأحمر" .

- « تقريرا ذا أهميّة كبرى، يتعلّق بالسّد، و بموقع القرية الجديدة الّتي وهب الشّامبيط قطعة أرض لتبنى فيها»[10]ص186: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تقدّم معلومات تكشف عن محتوى تقرير" الأحمر" .

- « فعلا،الأحمر كان يعدّ دراسة عن السّدود في المناطق الجبليّة، كما كان يعنى بالمسائل الجيولوجيّة بصفة عامّة، و أظنّ أنّه كان يعدّ رسالة لنيل ديبلوم مهندس دولة»[10]ص185: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تؤكّد ما جاء في اللّاحقتين السّابقتين .

- «عادت إلى ذاكرتي تنقّلاته الجبليّة، طوال إقامته بالدّشرة، وقياساته ، و تغيّبه أحيانا من الفجر إلى مغيب الشّمس»[10]ص185:لاحقة خارجيّة تامّة ، يسترجع " الطيّب " من خلالها بعض ما كان يقوم به "الأحمر" ،و هو ما يؤكّد تقريره الّذي تركه .

- « رأيه أنّ مشروع السّد فاسد من الأساس... كما أنّ تكاليفه باهظة لا تفي بمردود ذي بال، وفضلا عن ذلك فهو يقطع الطّريق الوحيد الموصل للدّشرة وأرضيّتها الجبليّة،الّتي تدرّ أرباحا أكثر ممّا يدرّه السّد»[10]ص186: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تطلعنا على ما جاء في تقرير" الأحمر" ، و توضّح غموض بعض الأحداث ، مثل رفض سكّان الدّشرة لمشروع القرية الجديدة ، و بناء السّد .

- « اللّجنة ذهبت إلى الدّشرة منذ شهور، متنكّرة تحت ستار العمل السّينمائي»[10]ص187: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة،تعيد التّذكير بحدث تمّ وقوعه في نقطة زمنيّة ماضية،و ذلك في الوحدة السّردية الرّابعة على لسان " الأخضر الجبايلي" :« لماذا تسألين؟ ، سينمائيّون جاءوا يصوّرون القرية»[10]ص117.

- « امرأة جاءت لزيارتك، هيّا معي»[10]ص183: سابقة داخليّة ، تعلن عن زيارة للطيّب .

- « لتستطيع العمل بدون تأثير من أيّ طرف كان»[10]ص187: سابقة خارجيّة، تعلّل تنكّر لجنة التّحقيق تحت ستار العمل السّينمائي.

-«لابدّ أن نقاوم هؤلاء المجرمين مهما كانت ألوانهم وشعاراتهم الخدّاعة،لن نمكّن لهم المساس بمستقبلنا»[10]ص187: سابقة خارجيّة، تنبئ بقيام ثورة من قبل الشّباب، لمحاربة المجرمين، أمثال "الشّامبيط " .

- «إلى اللّقاء»[10]ص189: سابقة خارجيّة، تنبئ بزيارة أخرى من قبل " صافية" إلى " الطيّب" .

إنّ هذا المقطع- وإن قلّت فيه الأحداث المسرودة- إلّا أنّه حرّك عمليّة السّرد، و خلّص " القارئ" من فتورالمقطع الأوّل فقد جعل المتتبّع لأحداث المقطع الثّاني يعود إلى صفحات مضت من الرّواية ، بل إلى وحدات سبقت .

3·7.1– التّنافر الزّمني في المقطع الثّالث :

يعتبر هذا المقطع أطول من المقطعين السّابقين، ونحصي فيه عددا من اللّواحق و السّوابق ، نوردها فيما يلي :

- « إلى اللّقاء، قالتها بصورة طبيعيّة»[10]ص189: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة، تذكّر بحدث

ماض وتؤكّد أثره في نفس " الطيّب " .

- « كما لو أنّها متيقّنة أنّنا سنتلاقى عن قريب»[10]ص189: سابقة خارجيّة ، تنبئ بزيارة ثانية، من قبل " صافية " .

- « السكّان بحدسهم الجبلي رفضوا الرّحيل، و رفضوا السّد، رفضوا التّغيير الّذي يأتيهم من حفدة الشّنابط و الدّراويش القدامى، رفضوا التّغيير الّذي ينزل من السّماء لا يد لهم فيه، بالحدس الجبلي شعروا بالخطر، أدركوا أنّ بركة الثّورة إذا نزلت إلى أدنى المستويات أصبحت تضخّما»[10]ص189: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، ذات وظيفة إعلاميّة .

- «قال:أنا فكرة ، و الفكرة لا تموت »[10]ص189: لاحقة خارجيّة تامّة ، تملأ فجوة من فجوات السّرد الحاضر .

- « سوف يبقى حيّا لدى كلّ من عرفه أو سمع بأفكاره»[10]ص189: سابقة خارجيّة تعلن عن خلود ذكرى الطّالب " الأحمر" في نفس " الطيّب" و غيره .

- «هذا الأمل الجديد الّذي أتتني به صافية، لن تضيع منّي...» [10]ص190: سابقة خارجيّة، تنبئ بعلاقة تنشأ بين"صافية" و"الطيّب" .

- « قالت ذات يوم أنّها من عائلة متوسّطة الحال، أبوها معلّم في ثانوية و أمّها حلّاقة ، لها أخت تكبرها سنّا متزوّجة»[10]ص190: لاحقة خارجيّة جزئيّة، تقدّم معلومات عن عائلة "صافية" .

- « الحقيقة قيمة تتغيّر باستمرار، هكذا قال لنا أستاذ الفلسفة»[10]ص191:لاحقة خارجيّة تامّة، تملأ فجوة من فجوات السّرد الحاضر .

- « سمّوني شاعرا لأنّ كلامي لا يترتّب عنه شيء ، لست صاحب قرار»[10]ص193: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، ذات وظيفة إعلاميّة .

- « أجد ما قالته صافية للضّابط : حلواء و شكولاطة و سقائر»[10]ص192: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تعود إلى نقطة زمنيّة ماضية ، و حدث سبق إيراده في المقطع الثّاني من هذه الوحدة، و لتؤكّد أثر زيارة "صافية " إلى " الطيّب " .

- «آبوليوس أو أبلى جزائريّ قديم في عهد الرّومان، كتب رواية سمّاها حمار الذّهب»[10]ص195: لاحقة خارجيّة، تعرّف بشخصيّة جديدة و غريبة عن الرّواية .

- « حكاية طويلة سأحكيها لك ذات يوم»[10]ص197: سابقة خارجيّة ، تنبئ ببقاء " الطيّب " في السّجن مدّة طويلة .

- « صافية جعلتني زيارتها أعود إلى الغرفة كالحالم !، الألفات العموديّة الّتي لم تصل بصاحبها إلى الباب لم أرها، الصّور البرنوغرافيّة انمحت ، الجدار صار صافيا، جروح أظافري نسيت

آلامها»[10]ص191: لاحقة داخليّة متمّمة تبيّن الأثر الإيجابي الّذي خلّفته زيارة "صافية" في نفس " الطيّب" و على غرارها اللّواحق و السّوابق التّالية :

- « أضع علبة الكارطون إلى جانبي، أحلم ، أخرج من جيب قميصي الأزرق السّجني ، الورقة الّتي كتبت فيها عنوانها ، أقرأ العنوان حرفا ، حرفا، أرى مع الحروف أصابع صافية الرّقيقة النّاعمة، العنوان – أيضا – اتّخذ محتوى عاطفيّا»[10]ص192: لاحقة داخليّة متمّمة ، تخبر بميل " الطيّب" إلى " صافية "عاطفيّا .

- « صافية فتحت المجال للأحلام»[10]ص192: سابقة خارجيّة ، تعلن عن التغيّر الجذري للطيّب، الّذي غلقت أبواب ماضيه زيارة " صافية " .

- «هذه الزّيارة أعطت لوجهك وجها جديدا»[10]ص192: لاحقة داخليّة متمّمة، تؤكّد ما جاءت به السّابقة المذكورة قبلها .

- « في الحقيقة كنت أودّ أن يصمت لأتمكّن من استعادة ذكرياتي المتّصلة بصافية»[10]ص193: سابقة داخليّة ، تعلن عن تمسّك " الطيّب " بصافية وهو ما تؤكّده اللّاحقة الدّاخليّة المضمّنة التّكرارية التّالية : «إنّ زيارتها أحدثت في نفسي انقلابا ، كلّما مرّت دقيقة، ازدادت حضورا في ذهني»[10]ص193،194.

4.7.1– التّنافر الزّمني في المقطع الرّابع :

يبدأ هذا المقطع بلاحقة خارجيّة ، يسترجع "الطيّب" من خلالها بعض الذّكريات الّتي جمعته مع "صافية" دون غيرها، فمنذ أن زارته إلى السّجن صارت ماضيه و حاضره و مستقبله، فيقول: «فتذكّرت صافية بالدّشرة ... عندما ركبت إلى العين على ظهر حمارة، استطابت ذلك غاية الاستطابة، لكنّها لم تركب كالقرويّات منفرجة الرّجلين، رفضت ذلك ركبت كما تركب الأوروبّيات المحظوظات ، مع أنّ الرّكوب برجلين متدلّيتين إلى جهة واحدة خطير هناك ، عثرة واحدة من الحمارة تؤدّي بالرّاكب إلى الهلاك ، قلت لها : إنّ ركوبك هذا ، يشبه الجلوس على الكرسيّ خطير ، لم تذعن» [10]ص197،198 ،و لا يكتفي "الطيّب" بذلك، فيروح يصفها قائلا في لاحقة خارجيّة متمّمة : «صافية عذبة»[10]ص198، وانتهي المقطع بثلاث سوابق خارجيّة تعلن الأولى منها عن طول الفترة الّتي سوف يقضيها " الطيّب " في السّجن وهي قوله :« أودّ أن أنام حتّى تنتهي هذه السّنون» [10]ص198 ،تؤكّد السّابقة الثّانية ما جاءت به الأولى و تتمثّل في قول " الطيّب " :« ترى هل تعود لزيارتي عمّا قريب أو ...؟» [10]ص198، في حين تنبئ الثّالثة بزيارة قريبة الأجل من لدن " صافية" : « صافية ستعود »[10]ص198.

وعلى الرّغم من كون الوحدة السّردية السّابعة آخر الوحدات السّردية الممثّلة للزّمن الأوّل،

إلّا أنّها لم تتضمّن الأحداث الّتي يتعطّش " القارئ" إلى معرفتها ، خاصّة تلك المتعلّقة بمقتل الطّالب " الأحمر " (كيف قتل ؟ ، و من قتله ؟)، و بالإضافة إلى ذلك جاءت أحداثها على وتيرة ضعيفة ، بخلاف الوحدات السّردية السّابقة (الوحدة الأولى ، والثّالثة ، والخامسة) ، ويعود ذلك إلى ضعف تداعي الذّكريات على ذهن السّارد، الّذي تخلّص من عنائها ، وعلى غراره " القارئ " .

8.1– التّنافر الزّمني في الوحدة السّرديّة الثّامنة :

1·8.1 – التّنافر الزّمني في المقطع الأول :

يستهلّ "السّارد" هذا المقطع بسابقة داخليّة تعلن عن اليوم الّذي ستقام فيه الزّردة ، فيقول:« الوقت الّذي تقرّر لإقامتها هو بعد ظهر يوم الخميس في النّهار الواضح» [10]ص199 و هو ما تمّ التنبّؤ به في الوحدة السّردية السّادسة ، في قول " عايد " :« الخميس المقبل بعد غد» [10]ص175، و في قول الدّراويش" : «يريد أن نقيم زردة عشيّة الخميس المقبل»[10]ص175، و بذلك يتمّ تحديد مدى السّابقة سلفا، بيوم كامل ، باعتبار التنبّؤ بالزّردة تمّ يوم الثّلاثاء ، و يوم إقامتها هو يوم الخميس ، و في لاحقة داخليّة متمّمة يخبر "السّارد " عن صاحب الأكباش الّتي منحت لتذبح في " الزّردة " فيقول : « العجل والأكباش السّتة الّتي تبرّع بها الشّامبيط لتذبح بهذه المناسبة »[10]ص199، و ينبئ في لاحقة داخليّة بأهميّة " الزّردة " ، و دورها الحاسم في مصير " الجازية " ، فيقول " المؤلّف " : «إنّ هذه الزّردة سوف تكون حاسمة في حياة الدّشرة ، فيها يتقرّر مصير الجازية و حياتها إلى أمد لا يدخل في إطار المتوقّع من الأحداث»[10]ص199، وتتوالى السّوابق الدّاخلية ، منها ما يعلن عن سلطة " الشّامبيط " الّتي لا مجال لوقوف " الدّراويش " أمامها : « لن يستطيع الدّراويش الوقوف في وجه رجال له خيوط خفيّة تربطه بالدّنيا القريبة والبعيدة»[10]ص200، و منها ما ينقل التكهّنات والتّعاليق الخاصّة بحضور" الجازية " إلى " الزّردة " :« البعض راهن على أنّ الجازية لن تحضرها، البعض الآخر عكس ذلك ، قال إنّ الجازية فتاة مغامرة، سوف يدفعها الفضول وحبّ المغامرة إلى المجيء للحضرة ، و سوف تقبل الزّواج من ابن الشّامبيط، و ليكن بعد ذلك ما يكون»[10]ص200، هذا ويستمرّ السّرد في وصف الأجواء الّتي سبقت بداية " الزّردة " في اللّواحق الدّاخلية المتمّمة الآتية :

- « في البداية جاءت مجموعة من العجائز يحملن قفافا ، دخلن إلى بيت هناك يدعى دار"الأحباس" ، وبعد لحظات خرجن مشمّرات متحزّمات ، و طفقن ينظّفن ساحة الجامع و الجهات المحيطة بها بمكانس من شجر الدّوم ، وبعد ذلك أخذن قربا ، وذهبن يستقين ولدى عودتهنّ مباشرة رششن بالماء كلّ الأماكن المعدّة لإعداد الطّعام والأكل والجلوس رشّا قويّا، حتّى صار الجزء الظّاهر من الرّصيف الحجريّ الّذي تتربّع عليه السّاحة والجامع وجانب من الدّشرة يلمع نقاء ... ثمّ سمع دويّ الطّبول

وألحان المزامير معلنة مقدم الفرقة الفلكلوريّة الّتي ستحيي الحفل ، و بعد لحظات وصلت إلى مدخل من مداخل السّاحة يتبعها الدّراويش ، ثمّ العجل والأكباش السّتّة الّتي حنّئت بالحنّاء و القطران ، زغردت النّساء زغردات متتالية ، تكهرب الجوّ ، و اكتسى صبغة جلال ورهبة و فرح ، أدخلت الحيوانات إلى السّقيفة المعدّة لها ، ريثما يحين ذبحها »[10]ص201،202، هذا و تكشف السّابقة الدّاخلية الآتية عن أهميّة حضور" الشّامبيط " وابنه " الزّردة " ، و هي قول " السّارد " :« لا بدّ من أن تطوف الأكباش و العجل سبع مرّات حول الشّامبيط " أو ابنه، ثمّ تذبح بعد ذلك»[10]ص203، و تؤكّد ما جاء في ذلك سابقة أخرى تنبئ عمّا في نفس " الشّامبيط " من حبّ لها ورياء، و هي قول " المؤلّف " : « ينبغي أن تطوف الأكباش حوله في السّاحة ، و هو واقف يراه في مشهد مثل ذلك »[10]ص203،204، و فضلا عن ذلك نجد سابقة داخليّة تتكهّن بموت "الشّامبيط":« اقترح أحد الدّراويش أن توضع حجرة في وسط السّاحة رمزا للشّامبيط ، وتطوف حولها أكباش والعجل »[10]ص204، و تنبئ سابقة داخليّة أخرى بموت " الشّامبيط " وهي قول "السّارد":« لا شكّ أنّ هناك شيئا حصل من المجيء ،و لم يتمكّن من إرسال مخبر»[10]ص205، وفي خضمّ هذه السّوابق، يتذكّر"السّارد" مثلا شعبيّا، و ذلك في اللّاحقة الخارجيّة التامّة التّالية : «كلمة عليها ملك و أخرى عليها شيطان »[10]ص204، و يخترق السّارد سرده السّابق، بعودته إلى حدث ماض من خلال اللّاحقة الدّاخلية المضمّنة التّكرارية التّالية:«ذلك الّذي دعاه بالبستان إلى تناول بعض الفواكه »[10]ص205، إنّه الحدث الّذي تمّ ذكره في الوحدة السّردية السّادسة .

وبعد سلسلة من السّوابق و اللّواحق الّتي أتى بها "السّارد" في هذا المقطع ، والّتي شغلت الجزء الأكبرمنه ، ثمّ يستقرّ السّرد في الزّمن الحاضر حتّى نهاية المقطع ، ليعيش " السّارد" و يعيّش معه " القارئ " أحداث الزّردة الّتي يقيمها " الشّامبيط " في " الدّشرة " .

2.8.1– التّنافر الزّمني في المقطع الثّاني :

وبهذا المقطع يخترق " السّارد " الحاضر السّردي ، المتمثّل في وصف أجواء " الزّردة" ،وذلك من خلال اللّاحقة الدّاخلية المتمّمة الّتي يبدأ بها المقطع على لسان راعي السّبعة :« الشّامبيط مات !،الشّامبيط !» [10]ص208 ،و لضبط التّرتيب الزّمني ،و توضيح البنية الزّمنية يمكن إحصاء عدد من التّنافرات الزّمنية ، نعرضها فيما يلي :

-«قفزت في ذاكرته صورة قطيع الأكباش منطلقة كالسّيل و الرّاعي وراءها »[10]ص209: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تعيد التّذكير بحدث ماض لتفسير حدث حاضر .

- « بينما الموت هناك، حيث لا ينتظره المرء ، لا يتخلّف أبدا عن مهمّته ، و لا عن ورقته ، الموت جديّ »[10]ص209: سابقة خارجيّة ، تعلن عن حقيقة الموت .

- « كانت مشاريع الشّامبيط أعرض من حياته ، لم يفكّر في الموت »[10]ص209: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات خاصّة بالشّامبيط .

- «لم ينج بحياته و أمواله فقط من الحرب، نجا بأحلامه – أيضا-، ذكاؤه مكّنه من اللّعب على كلّ الحبال ، في الوقت الّذي كان يفترض منه أن يكون ملتقى للسّهام، استطاع أن يكون موزّع الورقات الأخيرة »[10]ص209،210: لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات عن " الشّامبيط " .

- « الأزمنة لم تكن لديه منفصلة ، كانت تشكّل إطارات ملائمة لإنجاح أعماله ... كان يستعذر عن المستعذر ، لم يكن في حاجة إلى حبّهم ... لم يكن يطمح في البداية أن يصل إلى مستوى الخاطب للجارية في يوم من الأيّام »[10]ص210: لواحق خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات عن " الشّامبيط " .

- « لعب كلّ الورقات الرّابحة في الدّاخل و الخارج ... و في اليوم الّذي أصبحت فيه الجازية مطمع الرّعاة و الدّراويش وأصبح ابنه محطّ آمال كبيرة ، نصحه أصحاب النّصح بتزويج ابنه من الجازية .. لكنّ النّصيحة كانت تخفي أمرا لامناص من تنفيذه،ساوره الخوف ثمّ شيئا فشيئا استحلى النّصيحة »[10]ص211: لواحق خارجيّة جزئيّة ، تدعّم ما جاء في اللّواحق السّابقة .

- « إنّها فتنة،و فوق الفتنة هي الأسطورة، الجازية بنت الشّهيد الّذي قتل بألف بندقيّة ، و دفن في حناجر الطّيور»[10]ص211: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة، تعيد التّذكير بمعلومات ماضية ، وردت من قبل في الرّواية .

- « كان تشوّف إليه أن يكون زوج الجازية هو في السّجن إلى وقت بعيد»[10]ص212: سابقة خارجيّة ، تنبئ بالمدّة الطّويلة غير المحدّدة ، الّتي سوف يقضيها " الطيّب " في السّجن .

- « إذا تزوّج ابنه الجازية تغسل ماضيه بماء معطّر ، ابنه و أحفاده من بعده سوف يصبحون في الأفواه والأفكار حفدة أكبر فاعل للتّاريخ »[10]ص211: سابقة خارجيّة ، تعلن عن مزايا زواج " ابن الشّامبيط " بالجازية .

- «الصّعود إلى الدّشرة يكون لا إلّاعلى الرّجلين أو ركوب البغال و الحمير، و للشّامبيط بغال و خيل وحمير، لكنّه للذّهاب إلى الدّشرة لا يستعمل إلّا بغلة واحدة، تعرف الطّريق و التواءاته و عراقيله ، معرفة غريزيّة لا تعثر و، لا تتعثّر ،و لا تخاف»[10]ص212: لاحقة داخليّة متمّمة ، توضّح غموض مقتل "الشّامبيط " .

- « السّاعة كانت حوالي التّاسعة، اصطياد حمام الجبال يقتضي الخبرة والمهارة ، و كلتا الصّفتين متوفّرتان لدى الأخضر الجبايلي ، انتظر أن تحلق الحمامتان ثانية ، و تقتربا منه لإطلاق النّار عليها ، لكن الحمامتان فضّلتا البقاء بالقرب من وكرهما، ففكّر لو يحاول ضربهما هناك ...كان الشّامبيط و ابنه حينئذ قد وصلا إلى منعرج حافّة المخاطر،رآهما الأخضر بجلاء ، قرّر أن يطلق طلقة واحدة أولى يفزع بها الحمامتين لتطيرا ، و يضربهما بالثّانية ، لم تمض بضع ثوان على الطّلقة الأولى حتّى سمع دويّ قطيع الغنم منحدرا مع الطّريق كالسّيل، و رأى الحمامتين في الفضاء فأطلق النّار ثانية ، لم يصب الحمامتين ، لكن رأى احدى البغلتين ، و هي البغلة الّتي يركبها الشّامبيط تجري جريا عشوائيّا ، لا شكّ أنّ البارود أوانحدار قطيع الغنم أخافها ، لم يستطع الشّامبيط تهدئتها و السّيطرة عليها ، لم تمض ثوان معدودة فقدت توازنها و ارتمت في الهاوية هي و راكبها ، رأى الأخضر الشّامبيط متدحرجا مع الأحراش إلى أسفل كحزمة من ملابس ، أسرع بكلّ ما استطاعت رجلاه عليه إلى المكان ، لكنّه كان متيقّنا أنّ الشّامبيط لن ينجو من هذه السّقطة الخطيرة »[10]ص215: لاحقة داخليّة متمّمة ، تخبر بتفاصيل موت " الشّامبيط " .

- «أجله حضر !، انتهى أمره، الميّت يستحقّ الرّحمة ، رحم الله الشّامبيط »[10]ص217: لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة، تقرّ بموت " الشّامبيط " .

- « إنّه لم يكتف بالشّمبطة، أراد أن يورّث ابنه من بعده ، يتزوّج بالجازية ... لكنّ الأولياء كرّمهم الله، رأوا فيه خير الدّشرة ... ابنه سوف يعود إلى أمريكا، المدرسة وطن ثان»[10]ص218: سابقة خارجية ، تكشف عن أطماع " الشامبيط" التي قضى عليها الموت ، تعلن عن عودة ابنه إلى أمريكا.

3.8.1 - التّنافر الزّمني في المقطع الثّالث:

يعتبر هذا المقطع آخر مقطع في الرّواية ، تكاد تنعدم فيه التّنافرات الزّمنية ، فلا نسجّل فيه سوى بعض اللّواحق الّتي لم تغن السّرد بشيء ، بالإضافة إلى سابقة يمكن إيرادها فيما يلي :

- « خرجت الجازية كالنّور يرسل فجأة على مكان مظلم كذلك خيّل لعايد ... لم يستطع تثبيت نظرة فيها ، حسنها أقوى من قوّة بصره »[10]ص219:لاحقة داخليّة متمّمة ، تصف " الجازية" و حسنها .

- « هذا ابن أعزّ رجل في الدّنيا إلى قلبي، إنّه ابن السّايح المنفي ، أتتذكّرينه ياسيّدة النّساء »[10]ص219لاحقة خارجيّة جزئيّة ، تقدّم معلومات عن والد "عايد" .

- « يا الجازية ، أبوعايد من أصدقاء أبيك المخلصين ، عايد جاء راغبا فيك لكنّي قبل أعربت عن رغبتي في خطبتك إلى الطيّب، وأنت تعلمين،وأمّك هذه الصّالحة تعلم ، و كلّ السكّان يعلمون

برغبتي »[10]ص219،220:لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تعيد التّذكير بأحداث ماضية .

- « أليست هي الّتي جاء من أجلها ؟»[10]ص220:لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ، تذكّر بأحداث وردت من قبل ، لتقرّها و تؤكّدها .

- «وأنا يا عمّ عاهدت أبي أن أعود ، وقد عدت ، وعاهدت أبي أن لا أزرع بذوري في الرّيح ،و لكن في هذه التّربة الطيّبة ،وفي أوّل يوم وصلت إلى هذه الدّشرة شاءت الأقدار أن لا أتلاقى بالجازية ،و لكن بحجيلة »[10]ص220:لاحقة داخليّة مضمّنة تكراريّة ،تعود إلى نقطة زمنيّة ماضية ،لتؤكّد ما حدث فيها .

- «فهل تقبلي يا عمّ قرينا لها ؟ ، وهل تقبلني هي ؟ ، أريدها زوجة أسكن إليها ، و أختا تشدّ أزري في أوقات العواصف والأزمات ، و بذلك أحقّق حلم أبي في العودة إلى عين الصّفصاف و الارتواء من مائها العذب ، وحلمي أنا في الزّواج من أجمل فتيات الدّنيا »[10]ص221: سابقة داخليّة ،تعلن عن نيّة " عايد" في الزّواج بحجيلة ، وهو ماسيتحقّق في نهاية هذا المقطع ، و في نهاية الرّواية ، من خلال انفجار الزّغاريد ، وطلقات البارود من قبل الأخضر "الجبايلي " :«ثمّ انفجرت الزّغاريد عزّزها الأخضر الجبايلي بطلقتين من بندقيّته ، معلنا للملإ أنّ هذا البيت يعيش حدثا عظيما »[10]ص221 .

و هكذا تنتهي الرّواية بالزّمن الثّاني (الوحدة السّردية الثّامنة) ، وقد بدأت بالزّمن الأوّل (الوحدة السّردية الأولى) ، و تجدر الإشارة إلى تكامل أزمنة الرّواية الأولى و الثّانية ، و عدم فصلها أو فهم أحداث الرّواية بواحدة منها دون أخرى ، فقد وضعتنا الأزمنة الأولى في الجوّ العامّ للرّواية ، فتعرّفنا من خلالها على أحداث كثيرة ذات أهميّة ، مثل دخول "الطيّب " إلى السّجن ، و مقتل الطّالب " الأحمر" ، في حين فككنا لغز موت الطّالب " الأحمر" و زال غموض كثير من الأحداث من خلال الأزمنة الثّانية ، كما تجدر الإشارة إلى أنّ وتيرة سرد الأحداث بلغت أشدّها في الوحدات السّردية السّتّة الأولى ، و انخفضت في الوحدتين السّرديّتين الأخيرتين .

2-المدّة والتّواتر في رواية الجازية والدّراويش:

1.2- المدّة : " Duree"

1.1.2- الحركات السّرديّة :

للحركات السّردية (القصّة الموجزة ، و الإضمار ، و المشهد ، و الوقف) دور هامّ في تسيير

العمل الرّوائي على وتيرة مختلفة ، تتراوح بين البطء أحيانا ، والسّرعة أحيانا أخرى ، فمن خلالها يتمّ تقديرحركة السّرد ، و من أجل معرفة الوتيرة الّتي يسير بها سرد رواية " الجازية و الدّراويش" لجأنا إلى تتبّع الحركات السّرديّة سابقة الذّكر ، في كل وحدة سردية على حدة ، و إحصائها ، و ضبط نسبتها المئويّة لأتي :

- الوحدة السّرديّة الأولى (الزّمن الأوّل -01-) : و في هذه الوحدة تتصدّر نسبة حركة القصّة الموجزة على نسب الحركات السّرديّة الأخرى بـ 07, 48 % ، تليها حركة الوقف بنسبة 76, 30% ،ثمّ حركة الإضمار بنسبة 17،30 % ، و تأتي في الأخير حركة المشهد بنسبة 03,84%.

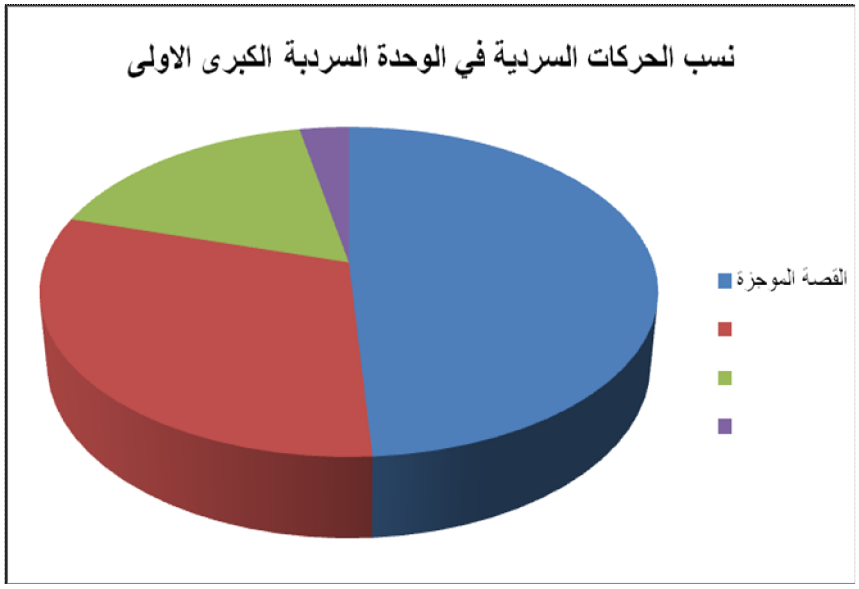

تبلغ حركة السّرد في هذه الوحدة الذّروة في السّرعة ،لأنّ مجموع نسب حركات تسريع السّرد (القصّة الموجزة ، والإضمار) أكبر بكثير من مجموع نسب حركات تبطيء السّرد (المشهد و الوقف) ،و هي نتيجة توافق التّنافر الزّمني لهذه الوحدة ، أي توافق العرض الموجز و المكثّف للماضي من قبل السّارد ، ونورد فيما يلي بعض الأمثلة لكلّ حركة :

القصّة الموجزة :

- « دفع الباب أمامي وقال متهكّما : حظّك سعيد ، معك في هذه الحجرة شاعر نقل إلى المستشفى للفحص ،ثمّ يعود» [10]ص07.

- « تقوم الذّكريات في نفسي ،تضع أمامي القرية والصّفصاف ،العين والفتيات ،جامع السّبعة

والدّراويش ،الطّالب صاحب الحلم الأحمر و الجازية » [10]ص09.

- « عشيقتي ليست جمهوريّة ،هي فتاة قتل أبوها بألف بندقيّة ،أراد أن يخطبها لي أبي لئلّا يتزوّجها ابن الشّامبيط ... الطّالب الأحمر لا يعرف أشراك الشّامبيط » [10]ص10.

- « يدوّى النّبأ في سمعي :مات الطّالب - الدّرويش-عثر على جثّته أسفل عين المضيق ،دفعه مجهول ، أو عثر... سقط على صخرة !»[10]ص10 .

- « انتهت الحرب ، احتفلت القرية بالعائدين من الموت ،الجازية كانت في المهد لدى احدى القرويّات الفضليات ،عائشة بنت سيدي منصور»[10]ص23 .

- « عوض أن يعينني أشقاني ،ثمّ أفسد عليّ الجازية ،بل أفسد عليّ كلّ الفتيات ،حتّى حجيلة وصافية » [10]ص21.

- « تعارفنا عنده طفلين » [10]ص13.

- « عند الصّفصاف ذات عشيّة ، كانت آخر عشايا عطلتي الصّيفيّة بالدّشرة » [10]ص13.

- « قادني الشّامبيط ليقودني للدّركيّ ، وضع هذا القيد في يدي ،وقال: القانون »[10]ص20 .

الإضمار:

- « ثمّ جاء الطّالب صاحب الحلم الأحمر... » [10]ص14.

- « أصبحت سجينا » [10]ص07

- « ... وأفهم كلّ ما جرى حتّى وصلت إلى هنا »[19] .

- « تؤلمني أكثر ذكريات الجازية ... » [10]ص23 .

- « طفولة الجازية مرّت دون أن يعرف أحد كيف ... »[10]ص24.

- « ابنه ينوي فعل الكثير من أجل القرية ... » [10]ص26.

المشهد :

- « قال له أحد الدّراويش : الماء يهبط من الجبل ،لا يصعد إليكم .

ردّ عليه الأحمر: أنتم صعدتم إلى الفقرد ،لم يصعد إليكم .

لم يعجب الدّرويش هذا الكلام فاستعمل الهجوم : نحن نصارع الطّبيعة وأنتم تتصارعون فيما بينكم . »[10]ص21 .

الوقف:

- « ينصرف بخطى متّزنة غليظة الوقع »[10]ص07 .

- « بالحجرة سريران قذران » [10]ص07.

- « تبتدي الألفات – العصى – من الجهة اليمنى للباب ،تمضي متتتابعة على جدران الحجرة ،ثمّ تتوقّف قبل أن تصل إلى الباب ، كأنّها أوقفت فجأة ،أتأمّل الرّسوم البرنوغرافيّة ، قلب يخترقه سهم ، قلب تعصره أصابع ، قلب يتقاطر دما ، أعضاء تناسليّة ، شمس بلا سماء » [10]ص08.

- « كانت غريبة الأطوار لا تستقرّ على حال ، عيونها تعد وتتوعّد ،بسمتها ترتفع بالنّفس إلى البعيد من السّدم ،لكنّها كالنّور قربها محرق » [10]ص25 .

- « قلت في نفسي :سوف يتّضح هذا الأفق لا محالة ، عندما ينقشع الغيم المتراكم عبر القرون على قمّة الجبل ، لكن المؤسف أنّني لن أراه »[10]ص22.

- الوحدة السّردية الثّالثة (الزّمن الأوّل -02-) : و في هذه الأخيرة تتصدّر نسبة حركة القصّة الموجزة على نسب الحركات السّردية الأخرى ، بـ 43,33 % ، تليها نسبة حركة الوقف بـ 23,33% فنسبة حركة الإضمار بـ 20 % ، و تأتي في الأخير حركة المشهد بنسبة 13,33% .

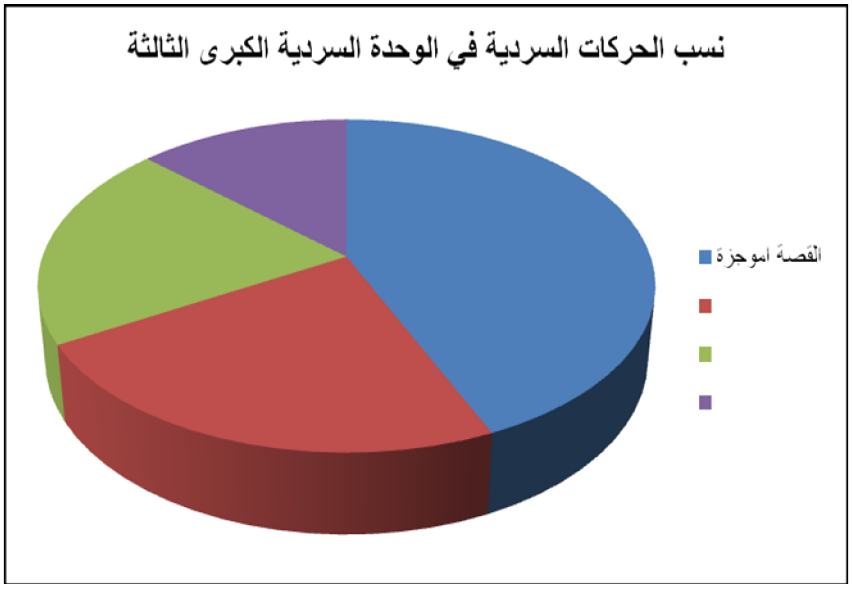

إنّ حركة السّرد في الوحدة السّردية الثّالثة ، أقلّ سرعة من نظيرتها في الوحدة السّردية الأولى ، إلّا أنّ حركة السّرد في الوحدة السّرديّة الثّالثة سريعة ، لأنّ مجموع نسب حركات تسريع السّرد أكبر من مجموع نسب حركات تبطيئه ، ونعرض بعض الأمثلة فيما يلي :

القصّة الموجزة :

- « أرى الشّامبيط يتقدّم مجموعة من الطّلبة المتطوّعين ... قال السكّان :جاؤوا لقضاء عطلتهم في جبلنا ،قال الشّامبيط :أرسلتهم الحكومة ،قال الطّلبة :جئنا لمساعدة السكّان » [10]ص55.

- « قرّرت أن تقيم لهؤلاء الضّيوف ضيافة ،وضيافة مدنيّين في قرية جبليّة مشهورة بالأولياء ،ما عساها أن تكون إن لم تكن زردة !» [10]ص59.

- « الكتب الّتي قرأتها مخطئة إذ تقول :الحكومات تأخذ حريّات النّاس ،حتّى حكومات النّمل والنّحل » [10]ص59.

-« لكن كلّ ذلك هذيان :أقوال الكتب ،والقرويّين ،والشّامبيط » [10]ص60.

- « ككلّ الشّنابط " المحترمين " شّامبيطنا له ميزة لا توجد في غيره ،هو مخضرم ،عمل في عهدين ... له تاريخ وحده » [10]ص69.

- « الزّردة ؟ ،لا تعرف الزّردة !، أكباش تذبح ومناجل تصبح ،وزرنة وبناديرتصدح ،فيها صفقات تعقد ،وأموال تعدّ ،ماء من العين ودعوة من الصّالحين لأبناء المدينة المتطّوعين » [10]ص71.

-« بنت أصل ،أبوها شهيد عظيم ، أمّها امرأة صالحة ،لكنّ اللّه كتب عليها الموت أثناء الوضع ،والولادة استشهاد ، مربّيتها الحاليّة عائشة بنت سيدي منصور،مناضلة كبيرة ومجاهدة كجدّاتها الصّالحات ،يعرف نضالها وجهادها العدوّ ،والصّديق » [10]ص73.

-« إنّ ما حلّ بالقرية كان بسببه ،أهان الأولياء ،والدّراويش ،والسكّان الّذين أكرموه » [10]ص93.

الإضمار :

- « *سيققيم أسبوعا* بالمستشفى تحت الرّقابة » [10]ص55 .

- « ثمّ جاء الطّلبة ... » [10]ص58 .

- « الحكومة بعثت لكم هؤلاء الطّلبة ،يقضون بينكم شهرا » [10]ص59 .

- « لم يبد أحد استعداده لأن تشاركه حياته العائليّة طوال شهر »[10]ص60 .

- « سبق له أن شاهد في ال سّنوات الماضية ، بعضا من أصدقائي الّذين جاؤوا لقضاء أيّام بيننا » [10]ص61 .

-« يتصوّر نفسه مسؤولا عن كلّ شيء ... » [10]ص62.

المشهد :

- « أنت يقتسم معك ...

اسمي الأحمر

... يقتسم معك الأحمر حجرتك ،وأنت تتقاسم معك

اسمي صافية

... تتقاسم معك صافية حجرتك »[10]ص62.

-« قال الأحمر ونحن نقترب من الصّفصاف : هذه الدّشرة يمثّلها ثلاثة عقام : الجامع ،والجبل ، والصّفصاف ردّت عليه صافية وهي تتأمّل علوّ الصّفصاف المفرط : على العكس ،أنا أعجبتني هذه الدّشرة ،وأعجبني بالخصوص هؤلاء الثّلاثة ، إنّها تمثّل العلوّ الّذي يرنو إليه كلّ حالم

أجابها ساخرا : ماذا يمثّل ، غير العقم ؟!

لم تستسلم ، قوّة إيمانها برأيي زاده جمالا صوتها العذب الحريريّ : الحياة المتناهية في الأرضيّة هي الّتي في حاجة إلى العلوّ ، وإلّا ماذا يبقى من معنى للحياة ؟ ! »[10]ص63 .

-« هل لك أب؟.

نعم.

ماذا يعمل ؟.

معلّم .

ما شاء اللّه ! هل لك أمّ ؟ .

نعم .

ماذا تعمل ؟ .

حلّاقة .

للرّجال ؟

لا ،للنّساء .

النّساء يحلّقن رؤوسهنّ في المدينة ؟ .

نعم .

أمّك تلبس السّروال مثلك ؟ .

أحيانا .

تدخّن مثلك ؟ .

لا ،أمّي لا تدخّن .

أبوك يعلم بمجيئك إلى هذه الدّشرة الجبليّة مع ستّة شبّان ؟.

طبعا يعلم ذلك . » [10]ص80.

الوقف :

- « اللّيل طويل ، الظّلام يملأ الحجرة »[10]ص55 **.**

- « تقع الدّشرة في القسم الأعلى من الجبل ،الجامع بني في الجهة الشّمالية من موقعها ،يشرف على منحدر يبلغ عدّة كيلومترات ،له صحن بسبعة أقواس ،هي كلّ ما يرى من السّفح ،حيث تستوي الأرض وتنبسط بسهولها » [10]ص57.

- « في سروال " جين " أزرق يضبط وركيها ،كانت تدخّن » [10]ص59.

- « شعره كالذرّة ،عيناه فريكيّتان ،بوجهه نمش كالقمر ،طويل كالصّفصاف » [10]ص79.

- « جلل الثّور الأبقع ،بجل مزوّق ،منمّق مرونق ،على شكل وبألوان راية السّبعة ،حنّئت قوائمه فصار فعلا ثور جنّة »[10]ص84 .

- الوحدة السّرديّة الخامسة (الزّمن الأوّل -03-) : و في هذه الوحدة تتصدّر نسبة حركة القصّة الموجزة على نسب الحركات السّرديّة الأخرى ، بـ :34,84% ، تليها نسبة حركة الوقف بـ 30،30 % ،فنسبة حركة المشهد بـ :18،18 % ،و تأتي في الأخير حركة الإضمار بنسبة 16,66% .

يقلّ في هذه الوحدة مجموع نسبة حركة " القصّة الموجزة " ، و" الإضمار"، ويرتفع مجموع نسبة حركة " المشهد" و " الوقف" ، لتتباطأ سرعة السّرد ، وهو ما يوافق ما جاء في التّنافر الزّمني للوحدة السّرديّة الخامسة (يقلّ الاستذكار المكثّف والموجز للماضي) ، ونورد بعض الأمثلة فيما يلي :

القصّة الموجزة :

- « أرى زردة ضخمة حول زمزم ،دراويشها يهتفون بنايلة ،وإساف العشيقين اللّذين كتب عليهما المسخ ،ثمّ القداسة ،وتبدو لي نايلة في صورة الجازية ،وإساف في صورة الأحمر »[10]ص121 .
- « السّجن الّذي كان يجعل من الصّفصاف رجالا أقوياء ،سجناؤه كانوا أحرارا ،وحرّاسه عبيدا ،كانت أناشيد الحريّة تتحدّى السّلاسل والمقاصل ،كان أهله معنيّين بما يجري خارج جدرانه » [10]ص123.
- «الأحمر وأحلامه الحمراء ،مناجل القمح تحمى للألسنة ، الصّفصاف الطّويل ... كلّ ذلك يمثّل أمامي » [10]ص125.
- « ذكّرني انكماشه وتدخينه في صافية ،صبيحة الزّردة الرّهيبة » [10]ص138.
- « جهود سنوات ذهبت بها ساعة غضب » [10]ص142 .
- « إنّه رجل خان ملحّنا » [10]ص144.

الإضمار :

- « حكمت المحكمة بسبع سنوات سجنا على المتّهم » [10]ص122.

- « أحمل في رأسي أربعة عشر قرنا من الصّبر و القناعة ،والمكتوب » [10]ص127.

- لكنّي ا لأن أعرف ... يملك الجرأة » [10]ص146.

المشهد :

- « ما اسمك ؟.

اسمي الطيّب .

هل صحيح أنت شاعر؟.

أنا شاعر شعارات .

لم أفهم ! .

ليس هناك ما يفهم .

عندما يريد الإنسان أن يكون نزيها ،ليس هناك مكان أفضل من السّجن .

إذن ،أنت نزيه .

أنا عنصرمن عناصر التّقرير الأدبيّ ، الذي تعدّه النّقابة .

نقابة من ؟.

نقابة الشّعراء .

هل للشّعراء نقابة ؟!.

بسببها أنا هنا ا لأن ،يمنعني لساني من الصّمت .»[10]ص130

-« قال لها يوما أمامي : أنت النّموذج الأمثل للهدم ،وأخوك الكامل للصّيانة .

قلت له :وأنت ماذا ؟ .

أجاب بدون تردّد :أنا العنصر المفجّر .

قالت مؤيّدة :ينفجر كلّ شيء.

قلت لها :ستكونين أنت أولى أجزاء النّار .»[10]ص135،136.

الوقف :

- « استرقت النّظر إليه ،فوجدته رائق الملامح ، نحيفا يبدو عليه الإرهاق .»[10]ص120 .

- « الملفت للنّظر فيه ،حركات يديه البهلوانيّة الجميلة ،وأصابعه البيضاء الطّويلة .» [10]ص120.

- « لاحظت الانفعال يكسو وجهها وهي تتحدّث ،كان العنف متجسّما في كلّ كلمة من كلماتها ، وكانت نظراتها ترسل شررا غريبا وجميلا في نفس الوقت ،الأحمر كان يبدو كالحالم ،كالسّكران ،كالمصمّم على القيام بشيء،كان غريبا ،كنت أرى نظراته ملتصقة بشيءبشفتي حجيلة وهي تتحدّث .»

.136ص[10]

- « وقفت صافية بسروالها الأزرق الطّويل .» [10]ص140.

- « كانت صافية جدّ ذكيّة .» [10]ص143.

-الوحدة السّرديّة السّابعة (الزّمن الأوّل - 4-) : وبخلاف الوحدات السّرديّة السّابقة ، تتصدّر نسبة حركة " الوقف " على باقي نسب الحركات السّرديّة ، ب :36،11% ، تليها حركة القصّة الموجزة بنسبة 27،77% ، وتليها نسبة حركة " المشهد " بنسبة 19،44% ، وتأتي في الأخير حركة "الإضمار" بنسبة16،66%.

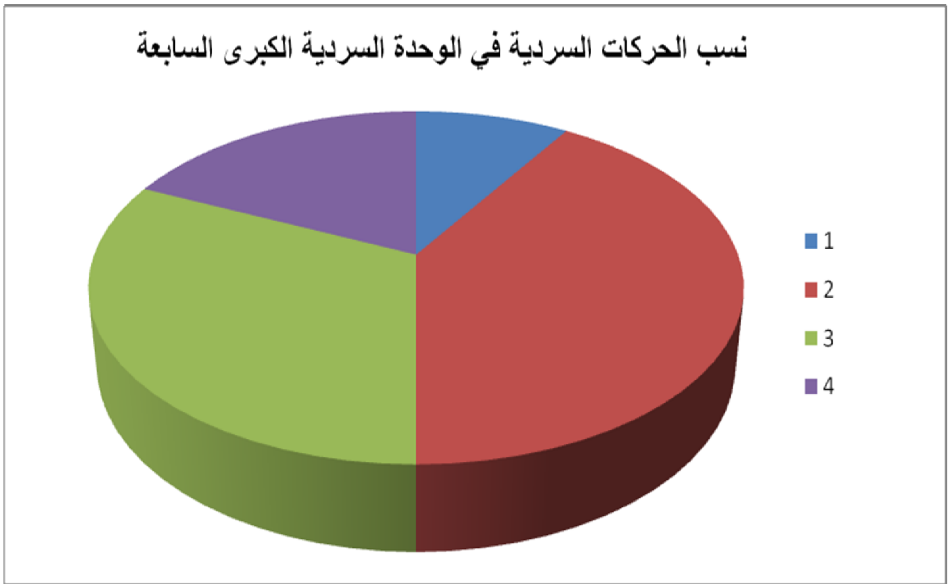

إنّ حركة السّرد في الوحدة السّرديّة السّابعة بطيئة جدّا ، لأنّ مجموع نسب حركات تسريع السّرد (القصّة الموجزة ، الإضمار) ،أقلّ من مجموع نسب حركات تبطيء السّرد (المشهد ، الوقف) ونورد في ذلك بعض الأمثلة :

القصّة الموجزة :

- « تقرير ذو أهميّة كبرى ،يتعلّق بالسدّ ،وبموقع القرية الجديدة الّتي وهب الشّامبيط قطعة أرض لتبنى فيها »[10]ص185.

- « عادت إلى ذاكرتي تنقّلاته الجبليّة طوال إقامته بالدّشرة ،وقياساته وتغيّبه أحيانا من الفجر إلى مغيب الشّمس »[10]ص185 .

- « قالت لي ذات يوم أنّها من عائلة متوسّطة الحال ، أمّها حلّاقة وأبوها معلّم في ثانويّة ، لها أخت تكبرها سنّا متزوّجة »[10]ص190.

الإضمار :

-« هذه سنتي الأخيرة بها .»[10]ص188.

-« حكاية طويلة ،سأحكيها لك ذات يوم .»[10]ص197 .

-« أودّ أن أنام حتّى تنتهي هذه السّنون ...»[10]ص198.

-« ترى هل تعود لزيارتي عمّا قريب أو ... ؟!.»[10]ص198.

المشهد :

- « أتعرف لماذا سجنت؟ .

لماذا سجنت ؟.

كان صحافيّ يقوم بتحقيق عن النّقابة ... هم يجتمعون في الواقع مع من ليسوا من النّقابة ليتعلّموا منهم.

هم أذكياء ،لا أغبياء ،يأخذون أفكار غيرهم ليحكموهم بها .

وأنت لماذا سجنت؟ .

حكاية طويلة ،سأحكيها لك ذات يوم .

هل شتمت موظّفا كبيرا .

لا .

هل قدحت في ضابط .

لا.

هل انتقدت سياسيّا ؟.

لا ذلك .

هل قلت شيئا ينقص من قيمة الخرافات .

لا .

إذن ،لماذا سجنوك .» [10]ص196،197.

-« إنّك تحلم ،هذه الزّيارة أعطت لوجهك وجها جديدا .

وأنت ؟.

أنا لا أدخّن .

سجين ولا تدخّن !.

ا لأن لست سجينا ،أنا أحلم.

السّجن بلا دخان يشبه الحياة في النّقابة .

أيّ نقابة .، عادة الحياة في النّقابات مشرّفة .

أنا أتكلّم عن نقابتنا .

هل للشّعراء نقابة ؟.

لست أدري ،أنت لست شاعرا ،إنّما رجال النّقابة يسخرون منّي ،سمّوني شاعرا ،لأنّ كلامي لا يترتّب عنه شيء ،لست صاحب قرار.

إذا كنت متذمّرا من هذه النّقابة ،لماذا لا تغادرها؟.

أودّ لو استطيع أن أضع بيني وبينها الدّنيا كلّها ،لكن للأسف لا استطيع مغادرتها ،إنّها كالدوّامة من لم يدرفي مجالها تغرقه .»[10]ص192.

- « كيف حالك يالطيّب؟.

كما ترين،وأنت؟.

كم أنا سعيد برؤيتك يا الطيّب ، حاولت مرارا أن أزورك لكن لم أتمكّن من ذلك اليوم .

كم من واحد يراقب ؟ لقد رأها حارس الباب ... فيها حلواء و شكولاطة ، وسقائر...

القانون.»[10]ص184،185.

- « الدّماء أيضا تبقى آثارها إذا أردت أن تترك لك آثارا في هذا السّجن القذر.

قلت لك من قبل ، بالسّجن لا تعدّ الأيام ، وإنّما تعدّ الأغلاط .

لست في حاجة إلى الدّرس .

أتعتقد أنّك لست في حاجة إلى الدّرس ؟ .»[10]ص182.

الوقف :

- « ولمّا رأى الشّاعر أصابعي مضرّجة بالدّماء، ابتسم ساخرا » [10]ص182 .

- « السجّان مقبل ، خطاه غليظة تسمع من كلّ الغرف » [10]ص183.

- « كلمة جدّابة ،لكنّها بريئة براءة الطّفل » [10]ص191.

- « أخرج من جيب قميصه الأزرق البنفسجيّ الورقة الّتي كتبت فيها العنوان ،أرى مع الحروف أصابع صافية الرّقيقة النّاعمة » [10]ص192.

- « قلت له الكلمة جاقة » [10]ص196.

إنّ ترتيب سرعة السّرد في الوحدات السّرديّة الممثّلة للأزمنة الأولى من الرّواية ، ترتيب تنازليّ ، حيث يبدأ السّرد سريعا جدّا في الوحدة السّرديّة الأولى ، ثمّ تقلّ سرعته في الوحدة السّرديّة الثّالثة ،لتتباطأ شيئا فشيئا حتّى الوحدة السّرديّة السّابعة ، وهو ما يوافق التّنافر الزّمني لهذه الوحدة ، حيث يبلغ ذروته في الوحدتين الأولى و الثّالثة ، أي : في الزّمنين -1- و-2- ، ويتراجع في الوحدة السّرديّة الخامسة (الزّمن الأوّل -3-) ، ويستقرّ في الوحدة السّرديّة السّابعة (الزّمن الأوّل -4-)

؛هذا فيما يتعلّق بالمدّة في الأزمنة الأولى ، أمّا فيما يتعلّق بالمدّة في الأزمنة الثّانيةهفي كا لأتي :

الوحدة السردية الثانية (الزّمن الثاني -01-) : و في هذه الوحدة تتصدّر نسبة حركة الوقف على نسب باقي الحركات السرديّة بـ : 33،33 % ، تليها حركة القصّة الموجزة بنسبة 28,87 % ، و تليها حركة المشهد بنسبة : 21،21 % ، و تأتي في الأخير حركة الإضمار بنسبة 16,66 % .

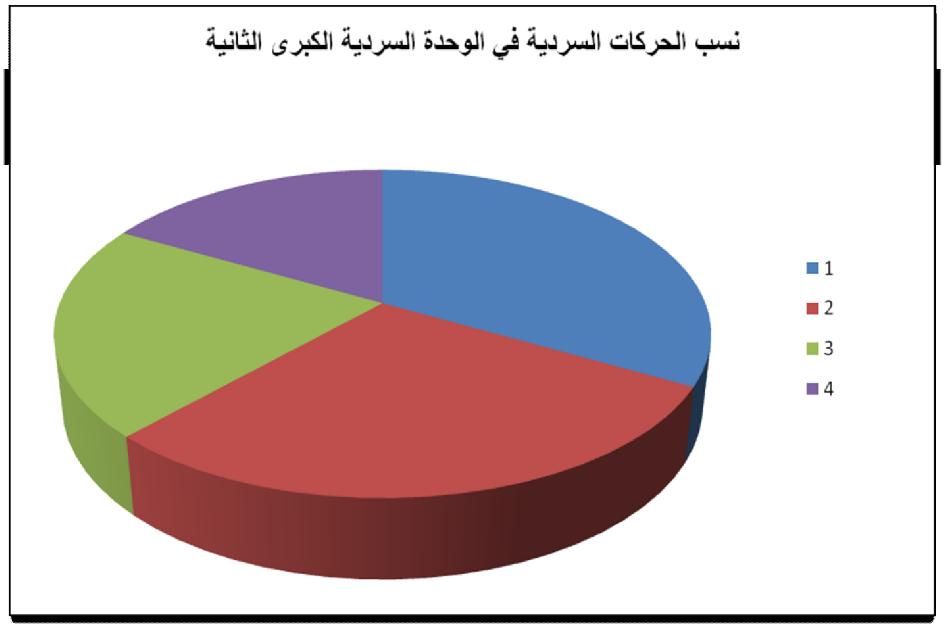

إنّ حركة السّرد في الوحدة السّردية الثانية ، تبلغ القمّة في البطء ،لأنّ مجموع نسبة حركات تبطيء السّرد (الوقف ، و المشهد) ، أكبر بكثير من مجموع نسبة حركات تسريع السّرد (القصّة الموجزة و الإضمار) ، ونورد بعض الأمثلة فيما يلي :

الوقف:

- « جاء إلى الوطن بسيّارة ضخمة فخمة » [10]ص29 .
- « إنّ سيّارته لها أربعة أبواق »[10]ص29 .
- « وقال في نفسه :لعلّه هو أيضا مغرم بالجازية ،لكن من ذا لا يحبّها ؟!، قالوا إنّها أخذت من النّاس عقولهم ومشاعرهم » [10]ص39 .
- « عين جارية ،أشجار من كلّ نوع ، صفصاف يتحدّى الهاوية ، الدّشرة وجنّاتها تحيا في الرّبيع رغم الصّيف الصّائف ، مناظر الجبل ملأت نفس المهاجر غبطة ،الحياة هنا لم يفقدها بتولتها محرّك ولا آلة ،ما تزال على حقيقتها الأولى ،السكّان يستغلّونها استغلال إشفاق وحبّ ،ويحيون فصولها المتعاقبة » [10]ص39.

- « الصّفصاف شامخ الرّأس إلى السّماء وهو على الهاوية ،العين تجري رقراقة وهي تسيل على أرض صلد جلد ،الطّريق بين الدّشرة والعين ليست طويلة ،لكن أشواك العلّيق والعوسج تكتنفها من الجانبين ،في حين تستعمل استعمالا أساسيّا في حياة السكّان ،معها يمرّون ويسقون ،منها تتفرّع المسالك المؤديّة إلى الحقول والبساتين والسّهل » [10]ص40.

- « وقال عايد في نفسه عن أبيه :راح يبحث عن شيء تركه هنا » [10]ص40.

- « أقبلت الفتاة صاحبة الوجه الصّبيح ،في مقدّمة النّساء كباقة ورد قدّمتها له الدّشرة المعطاء »[10]ص40 .

- « يتساءل في نفسه :هل هي الجازية لها اسم آخر؟ ، ولماذا هي هنا ؟، هل هي مخطوبة فعلا ؟، إنّها الجازية لها اسمان ،لا شكّ في ذلك » [10]ص42.

المشهد:

-« هل يتعشّى وحده ،أو تستدعي معه بعض النّاس ؟ .

ماذا جرى لك يا امرأة ؟!.

هل يعقل أن يغترب حتّى عندنا ؟!.

أنا أعدّ لكما القهوة أوّلا ،ثمّ أقوم للعشاء .

افعلي .» [10]ص47،48.

-« لم أكن أظنّ أبدا أنّني استقبل اليوم هذا النّبأ السّار !.

سمعنا أنّ أبي المحاين حيّ .

المجنون هو الّذي يتنسّم أخبار المجانين .

لم أقصد النّيل من ضيفك يا عمّ الأخضر ، واللّه...

هيّا بنا إلى البيت .

دع الرّجل يجلس معنا قليلا ،نسأله عن بض المغتربين .

لكم كلّ الوقت لتسألوه .» [10]ص44،45.

-« هل تعرف الجازية أنت ؟.

كلّ النّاس يعرفونها .

هل هي جميلة إلى درجة اقتتال النّاس عليها ؟!.

النّاس يقتتلون على صيانة شرفهم ...

من أبو الجازية هذه ؟.

شهيد قتل بألف بندقيّة .

بألف بندقيّة !.

كان وحده جيشا ، قالوا .

من أين هو ؟.

لا أدري .

أين دفن ؟.

في حناجر الطّيور،قالوا .

حناجر الطّيور!،أنت تسخر...

لا أسخر ،هكذا قالوا...

من هؤلاء الّذين قالوا ؟.

الدّراويش ، الفلّاحون ، الأولياء ،الشّامبيط ،... الجميع .

والجازية كم عمرها ؟.

يتيمة ، من يعرفها ؟. »[10]ص33،34.

القصّة الموجزة :

-« من بين هؤلاء عايد شابّ ذو عزم ،عاش بالمهجر منذ الطّفولة ،أبوه صديق حميم للأخضر الجبايلي أبي الطيّب السّجين » [10]ص27.

-« كلّ المهاجرين الّذين يتتبّعون ما يجري في وطنهم ،سمعوا بمقتل الطّطالب صاحب الحلم الأحمر،سمعوا بسجن الطيّب بن الأخضر الجبايلي ،سمعوا باعتزام الشّامبيط خطبة الجازية لابنه الّذي يقرأ في أمريكا » [10]ص28.

-« جاء من المدينة جماعة من النّاس زعموا أنّهم جاؤوا لمساعدة السكّان » [10]ص33.

-« الفلجة ،لعبة قرويّة تشبه لعبة الضامّة » [10]ص42.

الإضمار :

-« شاعت أخبار الجازية ،وشاع ما وقع في الدّشرة من أخبار ...» [10]ص28.

-« انقطعت عنّي أخباره منذ كم من سنة » [10]ص43.

-« قام بكلّ هذه الأعمال في ظرف خمس عشرة سنة »[10]ص49 .

-الوحدة السّردية الرّابعة (الزّمن الثّاني -02-) : تتساوى في هذه الوحدة نسبة حركتي القصّة الموجزة والوقف بـ : 29,63 % ، تليهما نسبة حركة المشهد بـ 22،22 % و تأتي في الأخير نسبة حركة الإضمار ، بـ 18,51% .

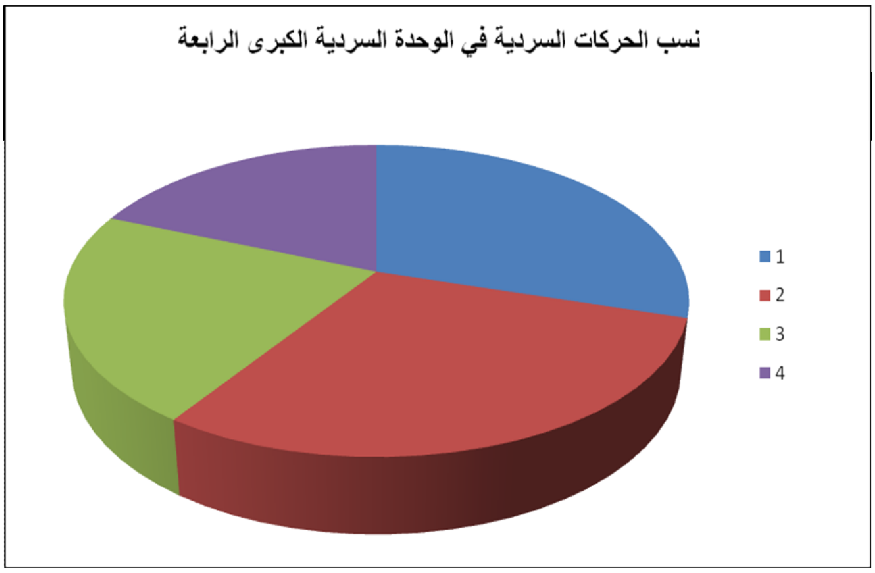

يقلّ في هذه الوحدة مجموع نسبة حركة القصّة الموجزة و الإضمار ، و يرتفع مجموع نسبة حركة المشهد و الوقف ، لتتباطأ سرعة السّرد ، وهو ما يوافق ما جاء في التّنافرالزّمني للوحدة السّردية الخامسة (يقلّ الاستذكارالمكثف والموجز للماضي) ، و لكنّها أقلّ بطءا من سرعة السّرد في الوحدة السّردية السّابقة .

- **الوحدة السّردية السّادسة (الزّمن الثّاني -03-) :** وعلى خلاف الوحدتين السّابقتين ، تتصدّرفي هذه الوحدة نسبة حركة " القصّة الموجزة " على نسب باقي الحركات ، بـ 32,96% ، تليها نسبة حركة " المشهد " بـ : 28,84%، و تليها حركة " الإضمار " بنسبة : 26,92%، و في الأخير تأتي حركة " الوقف " بنسبة : 11,53 % .

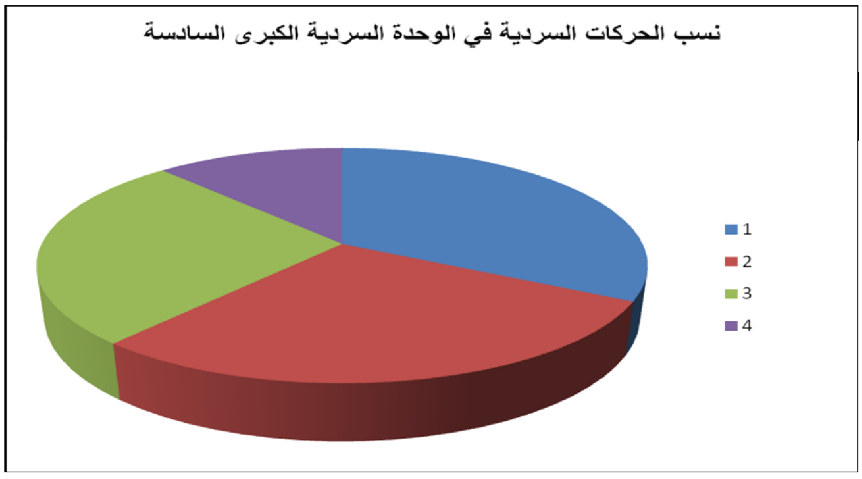

تعتبر الوحدة السّردية السّادسة نقلة في الأزمنة الثّانية من الرّواية ، حيث تنتقل حركة السّرد فيها من بطيئة في الوحدتين السّرديّتين الثّانية و الرّابعة ، إلى سريعة في الوحدة السّرديّة السّادسة ، ذلك لأنّ مجموع نسبة حركات تسريع السّرد ، أكبر من مجموع نسبة حركات تبطيء السّرد ، ونورد بعض الأمثلة فيما يلي :

القصّة الموجزة :

-« طوّقته فرقة عسكريّة كاملة ، لم يكونوا يظنّون أنّه وحده لشدّة مقاومته ،أطلقوا عليه النّارمن كلّ جهة ... كانوا ألف عسكريّ » [10]ص154.

-« قالوا دفن في حناجر الطّيور» [10]ص154،155 .

-« باختصار ، في نظر الأمّ عايد رجل طيّب ،لا تجد حجيلة زوجا مثله ،ولا سيما أنّه يسكن في المدينة » [10]ص163.

-« هو جاء من أجل الجازية ، فالتقى بحجيلة ، هذه قصّته مختصرة ،ومطوّلة » [10]ص169.

الإضمار:

-« إنّ الجازية انتهى رجاؤه فيها ،بعد كلّ الّذي حصل » [10]ص156 .

-« لو لم يكن يرغب فيها ، لغادر الدّشرة منذ ذلك اليوم »[10]ص163 .

-« وقالوا أشياء أخرى » [10]ص169.

-« ها هو الشّامبيط بدوره بستعدّ في هذه الأيّام ... » [10]ص175.

المشهد :

-« مجنونة ! .

من هي المجنونة ؟ !.

الجازية .

رأيتها .

كيف قبلت مقابلتك؟ .

رفضت في البداية ، ثمّ لمّا رأتني مصمّما لم أتزحزح عن مكاني كامل العشيّة قبلت .

قضيت كامل العشيّة أمام الباب ؟! .»[10]ص151 .

-« من نحبّه لا نتحدّث عنه .

كيف ؟! ،من نحبّه لا نتحدّث عنه ؟! .

بالضّبط .

نعم ، من نحبّه لا نتحدّث عنه ،لأنّه يحيا في الأعماق .

في اليوم الأوّل الّذي وصلت فيه إلى الدّشرة .»[10]ص165 .

الوقف :

-« قال في نفسه : لماذا تخجل منّي ، لو لم تكن تعلّق أملا ما ؟! »[1]ص165.

-« أصبحت جرداء حمراء قاحلة» [10]ص173 .

-« قبلة واحدة من هذه الفتاة العروب ، الّتي يكسوها حسنها كساء رائعا ، ويعطي لأنوثتها إغراء رهيبا » (8).

- الوحدة السّردية الثّامنة (الزّمن الثّاني -04-) : في هذه الوحدة تتصدّر حركة " الوقف " على باقي الحركات السّردية بنسبة 50 % ، تليها حركة " القصّة الموجزة" بنسبة 33،33 % ، تليها حركة " المشهد " بنسبة 14,28 % ، و تأتي في الأخير " حركة الإضمار" بنسبة ضئيلة : 2,38 0% .

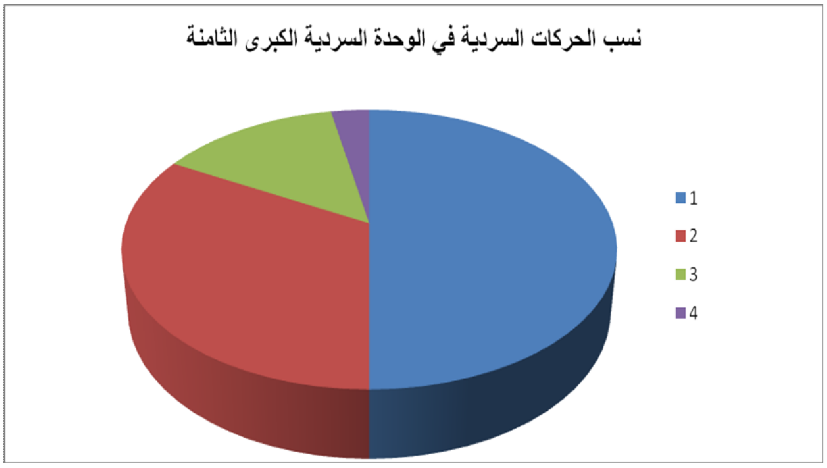

تبلغ سرعة السّرد قمّة البطء في هذه الوحدة ، لأنّ مجموع نسبة حركات تبطيء السّرد (الوقف ، المشهد) ، أكبر من نسبة حركات تسريع السّرد (القصّة الموجزة ، الإضمار) ، وفيما يلي بعض الأمثلة :

الوقف :

-« في البداية جاءت مجموعة من العجائز يحملن قفافا ، دخلن إلى بيت هناك يدعى دار الأحباس ،وبعد لحظات خرجن مشمّرات متحزّمات ،وطفقن ينظّفن ساحة الجامع والجهات المحيطة بها بمكانس من شجر الدّوم ، بعد ذلك أخذن قربا وذهبن يسقين ،ولدى عودتهنّ مباشرة رششن بالماء كلّ الأماكن المعدّة لإعداد الطّعام ،والأكل ، والجلوس رشّا قويّا ، حتّى صارالجزء المرشوش من الرّصيف الحجريّ ، الّذي تتربّع عليه السّاحة والجامع ، وجانب من الدّشرة يلمع نقاء »[10]ص201 .

-« يتبعها الدّراويش ثمّ العجل و الأكباش السّتة ، الّتي حنّئت بالحنّاء والقطران ، زغردت النّساء زغردات متتالية ، تكهرب الجوّ واكتسى صبغة جلال ورهبة وفرح ،أدخلت الحيوانات إلى السّقيفة

المعدّة لها ، ريثما يحين وقت ذبحها »[10]ص202 .

-« الطّبول تدقّ ، الزّرنة تزمّر، الدّراويش يرمون عماماتهم ويرقصون »[10]ص206 .

-« إنّه جميل ، وجهه كالحليب بياضا وطراوة » [10]ص207 .

-« اكفهرّ الجوّ تماما » [10]ص208.

-« خرجت الجازية كالنّوريرسل من مكان مظلم »[10]ص219 .

-« النّهار مازال ضوؤه رماديّا بنفسجيّا » [10]ص213.

-« وتساءل في نفسه : من وراء موت الشّامبيط ؟ ، ماذا كان يعمل هناك الأخضر الجبايلي ؟ ، والرّاعي كيف كان هناك ولم يحضر الزّردة ؟! »[10]ص209 .

المشهد :

-« اقترح أحد الدّراويش أن توضع حجرة في وسط السّاحة رمزا للشّامبيط ،وتطوف حولها الأكباش والعجل .

ردّ عليه الوكيل بدهشة :إنّ الحجرة إذا وضعت رمزا للإنسان ،لا ترمز للحيّ ،وإنّما ترمز للميّت ،إنّك تنبّأت بموت الشّامبيط .

أجابه الدّرويش بأنّه لم يفكّر في موت الشّامبيط ،ولا كان يعلم أنّ الرّمزبالحجرإلى الإنسان يدلّ على الميّت . » [10]ص204 .

-« هذا ابن أعزّ رجل في الدّنيا ،إنّه ابن السّايح المنفي ،أتتذكّرينه يا سيّدة النّساء ؟.

ابن السّايح بن بو المحاين ؟!، يا للدّنيا !،كيف حال السّايح يا ولدي ؟ ،وما اسمك أنت ؟ .

اسمي عايد .

مرحبا بك و بعودتك يا ولدي ،كلّنا أهل وسهل لك .

يا الجازية ،أبو عايد من أصدقاء أبيك المخلصين .»[10]ص219،220،221 .

-« لا أحد يغادر البيت قبل أن أعود .

سألته زوجته : والزّردة ألا نذهب إليها ؟ .

لا تذهبين .

وأضاف بعد لحظة من التّفكير:أنت والجازية إبقيا بالبيت ،وإذا شاءت العجوز عائشة وحجيلة الدّهاب ،لهما ذلك .»[10]ص214.

القصّة الموجزة :

-« المفروض أنّهما قد وصلا منذ مدّة ،لتبدأ مراسيم الزّردة من ذبح العجل ، والأكباش ،والدّوران حول السّاحة »[10]ص119.

-« كلّ شيء جاهز ، حطب البلّوط والعرعر، لم يدع اللّحم يستنزف صبر النّاس ... نضج في أقلّ من ساعة »[10]ص205.

-« إنّ الميّت كان ذاهبا إلى الدّشرة زائرا وخاطبا ... ولو تمّ له ذلك لأصبح صهرا مقرّبا ،لكنّه مات ،وفي أراضي الدّشرة ،فلا بدّ إذن من القيام بالواجب »[10]ص217.

الإضمار:

-« الوقت الّذي تقرّر لإقامتها هو بعد ظهر يوم الخميس »[10]ص199.

إنّ وتيرة سير السّرد في الوحدات السّردية الممثّلة للأزمنة الثّانية من الرّواية ،مختلفة ، حيث يبدأ السّرد بطيئا في الوحدة السّردية الثّانية ، ثمّ يتواصل بطيئا ، و لكن بدرجة أقلّ في الوحدة السّردية الرّابعة ، لتزداد السّرعة في الوحدة السّردية السّادسة ، و في الوحدة السّردية الثّامنة يعود السّرد إلى التّباطئ حتّى النّهاية ، و يعود الاختلاف في تغيّر سرعة السّرد ما بين الأزمنة الأولى ، والأزمنة الثّانية إلى الاختلاف في التّنافر الزّمني ·

2 .2.1– زمن الحكاية و القصة و زمن القراءة:

تتميّز" رواية الجازية و الدّراويش" بتحديد زمن بعض أحداثها (الأحداث كما حدثت في الواقع) وتتمثّل في :

- جهاد " الأخضر الجبايلي " : « قام بكلّ هذه الأعمال في ظرف خمس عشرة سنة » [10]ص94، فجهاد " الأخضر الجبايلي" كان خلال زمن معيّن وهو خمس عشرة سنة ·

-إقامة الشّاعر في المستشفى : « سيقيم أسبوعا بالمستشفى تحت الرّقابة » ، فمدّة مكوث الشّاعر في المستشفى هي سبعة أيّام [10]ص55·

-إقامة الطّلبة المتطوّعين بالمستشفى :« الحكومة بعثت هؤلاء الطّلبة يقضون بينكم شهرا»[10]ص59،« لم يبد أحد استعداده لأن تشاركه حياته العائليّة طوال شهر»[10]ص60 ،
« قلت له : تطوّعت مجموعة من الطّلبة لقضاء شهر بالدّشرة » المدّة الزّمنيّة الّتي قضاها الطّلبة في القرية هي سنة واحدة[10]ص61 ·

-مدّة سجن " الطّيّب " : « حكمت المحكمة بسبع سنوات سجنا على المتّهم » الفترة الّتي يقضيها " الطّيّب "في السّجن هي سبع سنوات[10]ص122 ·

-إقامة الزّردة :-« يريد أن نقيم زردة عشيّة يوم الخميس القادم » [10]ص122·

-« الوقت الّذي تقرّر لإقامتها ، بعد ظهر يوم الخمبس »[10]ص175 .

-زمن أحداث الرّواية في الواقع يقدّر بسنة : -« التطوّع انتهى بالنّسبة إليّ هذه السّنة »[10]ص199.

-« هذه سنتي الأخيرة»: زمن أحداث الرّواية (الجازية والدّراويش) عام كامل [10]ص149.

هذا ، فيما يتعلّق بزمن الحكاية ، أمّا بالنّسبة إلى زمن القصّة وزمن القراءة ، فيتمّ توضيحه من خلال الجدول التّالي :

الأزمنة الوحدات السردية	زمن القصّة	زمن القـــراءة
الوحدة السرديّة الأولى	(26) صفحة	29 دقــقيـــة
الوحدة السرديّة الثانية	(28) صفحة	29 دقــقيـــة
الوحدة السرديّة الثالثة	(40) صفحة	45 دقــقيـــة
الوحدة السرديّة الرّابعة	(24) صفحة	25 دقــقيـــة
الوحدة السرديّة الخامسة	(32) صفحة	30 دقــقيـــة
الوحدة السرديّة السّادسة	(30) صفحة	30 دقــقيـــة
الوحدة السرديّة السّابعة	(18) صفحة	20 دقــقيـــة
الوحدة السردية الثامنة	(23) صفحة	25 دقــقيـــة

و تجدر الإشارة إلى أنّ زمن الرّواية الإجمالي (زمن الأحداث مسرودة) ، هو : مئتان واثنتان وعشرون صفحة (222) ، و زمن قراءتها ، هو : ثلاث ساعات على الأقلّ مع العلم أنّ هذا الزّمن يختلف من " قارئ " إلى آخر ، حسب القدرة الذهنيّة ، و النّفسية لكلّ واحد .

2.2-التّواتر :

تتميّز رواية "الجازية و الدّراويش " باحتوائها على أنواع عديدة من تواتر الحدث ، و هي : ذكر عدّة مرّات ما وقع مرّة واحدة ، و ذكر مرّة واحدة ما وقع عدّة مرّات، وذكر مرّة واحدة ما حدث مرّة واحدة ، ونوضّح ذلك فيما يلي:

-ذكر عدّة مرّات ما وقع مرّة واحدة : ومعنى ذلك سرد ما وقع في الحكاية مرّة احدة ، عدّة مرّات في الرّواية ، والأحداث الّتي توافق هذا النّوع من التّواترهي :

- ***رقص " الطّالب الأحمر"مع " الجازية"*** :وقع هذا الحدث مرّة واحدة في الحكاية ، في حين ذكره" السّارد" خمس مرّات في الرّواية في الصّيغ التّالية :

-« دخلت وسط نسائهم ،وجذبت الجازية لترقص معك»[10]ص124.

-« رقص معها طالب متطوّع في الزّردة قتل»[10]ص125.

-« جئت ورقصت وصرت صفصافا من نوع جديد»[10]ص126.

-« راقصت الجازية»[10]ص127.

-« لعق منجلا ،ورقص رقصة ظنّ أنّه وصل»[10]ص171.

- مقتل " الطّالب الأحمر" : لقد قتل " الطّالب الأحمر" مرّة واحدة في الحكاية ،وأعاد " السّارد" ذكره في الرّواية أربع مرّات :

-« هناك أشاهد على صخرة أسفل عين المضيق ،بنحو عشرين مترا، العينان مفتوحتان تحلمان بشمس لن ترياها أبدا»[10]ص10.

-« أرى جثّته على الصّخرة أسفل عين المضيق ،عيناه مفتوحتان تحلمان بشمس لن ترياها أبدا»[10] ص121.

-«الصّخرة حيث رأيت الأحمر جثّة هامدة»[10]ص125.

-« وفي النّهاية وجدوه قتيلا أسفل عين المضيق»[10]ص173.

- تقييد " الطّيّب" إلى السّجن :لقد تمّ تقييد " الطّيّب" إلى السّجن من قبل الدّركي مرّة واحدة في الحكاية ، ولكن تكرّر ذكره في الرّواية ثلاث مرّات :

-« ثمّ أراه يقودني إلى الدّرك ،يضع الدّركيّ القيد في يدي ،ويقول : القانون»[10]ص10.

-« ثمّ جاء الشّامبيط يقودني إلى الدّركي ، الّذي وضع القيد في يدي ، وقال : القانون»[10]ص14.

-« قادني الشّامبيط وسلّمني إلى الدّركي ، وضع هذا القيد في يدي وقال :القانون»[10]ص20.وللإشارة ، فإنّ لهذا النّوع من التّواتر وظيفة هامّة في الرّواية ، تتمثّل في إبراز هذه الأحداث وتبيين ثقلها في الرّواية .

ـ ذكر مرّة واحدة ،ما حدث عدّة مرّات:هذا النّوع من التّواتر عكس النّوع الأوّل ،حيث يذكر الحدث الّذي تكرّر وقوعه في الحكاية ، مرّة واحدة في الرّواية ، ويستعمل من أجل تسريع السّرد ، كما يعتبر وسيلة للتخلّص من عبء الأحداث المتكرّر وقوعها في الحكاية، والأحداث الّتي توافق هذا التّواتر في " الجازية والدّراويش"هي :

-«كان يقضي أيّامه هائما بين الشّعاب والجبال ،كمن يبحث عن كنز»[10]ص34: تجوّل" الطّالب الأحمر" في غابات وجبال القرية كان يتكرّر كلّ يوم منذ أن نزل بالقرية ، وما يدلّ على ذلك الفعلان المضارعان " يقضي" و" يبحث"،ولكنّ السّارد ذكر ذلك مرّة واحدة، ربّما لعدم أهميّة هذا الحدث في مجرى الأحداث .

-« حكاها المرّات العديدة لجماعات عديدة من كلّ الأعمار ،في كلّ مرّة يضيف من عنده ما ينمّقها لدى السّامع ، حتّى صارت مجنّحة الصّور»[10]ص80.

-« يتأمّل الصّحفة ثمّ يستأنف دورانه ،فعل ذلك سبع مرّات في ساحة الجامع ،على عدد الأولياء والأيّام»[10]ص85: وقع هذا الحدث سبع مرّات في الحكاية ،وسرده السّارد مرّة واحدة .

-«سمعت هذا الحوار بحروفه وأصواته المرّات العديدة ،مسجّلا على شريط»[10]ص125.

-« لا بدّ أن تطوف الأكباش والعجل سبع مرّات حول الشّامبيط وابنه ثمّ تذبح بعد ذلك »[10]ص203.

-« ألم تحاول كم من مرّة أن تستدرجه إلى مثل هذه التّصريحات» [10]ص156:وقع هذا الحدث مرّات عديدة في الحكاية إلّا أنّ السّارد اقتصر ذكرها مرّة واحدة .

-« حاولت مرارا أن أزورك » [10]ص184: لقد حاولت " صافية " زيارة " الطيّب" في السّجن مرّات عديدة .

-« وبعد عدّة محاولات فاشلة للنّزول بالجثّة»[10]ص217: لقد تمّ النّزول بجثّة " الشّامبيط" عدّة مرّات في الحكاية ،في حين ذكر مرّة واحدة في الرّواية .

-« هذا الكلام قاله الشّامبيط للسكّان المرّات العديدة»[10]ص212: كان " الشّامبيط" يجتمع بالسكّان عديد المرّات ويلقي عليهم خطاباته (في الحكاية) ، ولكن في الرّواية عكس ذلك .وما يمكن الإشارة إليه هو كثرة هذا النّوع من التّواتر في رواية " الجازية والدّراويش" ،وذلك ما يوافق التّنافر الزّمني في الرّواية .

- ***ذكر مرّة واحدة ، ماحدث مرّة واحدة*** :وهو نقل ما حدث في الحكاية مرّة واحدة، مرّة واحدة في الرّواية ،وهذا النّوع قليل جدّا الرّواية ،وأحصينا فيه هذا المثال :« ذهبت مرّة إليها ،أقمنا حضرة لامرأة ثريّة تريد أن تلد في السّتين»[10]ص170.

3-الصّيغة والصّوت في رواية الجازية والدّراويش :

1.3- الصّيغة :

لا يتسنّى للسّارد ضبط المعلومات السرديّة و تنظيمها ، إلّا من خلال إيجاد الصّيغة المناسبة لذلك ، حتّى لا يكون في البناء السّردي خلل ،و هو الشّأن في رواية " الجازية و الدّراويش " ، حيث يتّخذ ساردها صيغا مختلفة ، في تقديم المعلومات السرديّة ، وعرض الأحداث الّتي بحوزته،و ذلك باختلاف أزمنة الرّواية (الزّمن الأوّل ، الزّمن الثّاني) .

1.1.3- الصّيغة في الأزمنة الأولى :

1.1.1.3- المسافة :

إنّ ضبط المعلومات السّردية و تنظيمها ، في الوحدات السّردية للزّمن الأوّل من الرّواية ، لم يتمّ على طريقة واحدة ، فيقدّم " الطيّب " (سارد أحداث الأزمنة الأولى من " الجازية و الدراويش ")، معلوماته السردية بدرجات مختلفة ، فنجده في الوحدة السّردية الأولى ، ساردا كليّ الحضور،مهيمنا على الأحداث ، يعرضها على شكل قصة أحداث ، حيث السرد المباشر للوقائع ، و العرض المكثف للأخبار ، نتعرّف من خلالها على حاضر " الطيب " أي : السجن ، و نتعرف على ماضيه (القرية ، وما يتعلق بها من أحداث) . إنّ ما يميّز هذه الوحدة ، هو كثرة المعلومات المتعلقة بحاضر " الطيب "، التي يعرضها بدرجة أكبر ، ممّا يعرض تلك المتعلقة بماضيه ، الذي تبقى صورته غامضة في هذه الوحدة ، باعتبارها فاتحة الرّواية ، و لأجل الإبقاء على صورة الماضي غامضة ، نجد "السّارد " حذرا موجزا ، في تقديم المعلومات السّردية المرتبطة بالماضي ، و هو الشّأن في الأحداث التّالية :

- تقييد " الطيّب " من قبل الدّركي :« ثمّ أراه يقودني إلى الدّرك ، يضع الدركي القيد في يدي و يقول : " القانون " »[10]ص10 .

- مقتل " الطالب الأحمر " : « يدوّى النبأ في سمعي : مات الطالب – الدرويش - ، عثرعلى جثته

أسفل " عين المضيق " ، و دفعه مجهول ، أو عثر ... سقط على صخرة » [10]ص10: «يذهلني النبأ ، أجري إلى المكان ، هناك أشاهد الجثة على صخرة أسفل عين المضيق ، بنحو عشرين مترا ، العينان مفتوحتان بشمس لن ترياها أبدا »[10]ص10.

- مجيء " الطالب الأحمر " : «ثم جاء الطالب صاحب الحلم الأحمر »[10]ص10.

- أنباء إبن الشامبيط " : « ثم جاءت أنباء إبن الشامبيط الذي يقرأ في آخر الدنيا : في أمريكا» [10] ص14.

- أنباء إبن " الشامبيط " : « لماذا تحمس لبناء قرية لترحيل السكان إليها ، و وهب قطعة أرض لبنائها ؟! »[10]ص20:« لم يكن يريد منها بتولتها فقط ، كان يريد أن يتوج إسمه بهالة النور ، التي صنعتها بندقية أبيها ، و دماؤها »[10]ص25 .

و على الرّغم من مجيء الوحدة السّردية الأولى على شكل قصة أحداث ، إلّا أنّها لم تخل من بعض المقاطع الحواريّة ، و بعض الخطابات المنقولة إلى أسلوب غير المباشر :« معلّم الكتّاب قال لنا ذات يوم : الألف عصا لمن عصى »[10]ص08،«الطّالب صاحب الحلم الأحمر ، قال ذات يوم متحدّثا عن السكّان : إنّ رؤوسهم جدّ صغيرة ، لو وضعت فيها أفكار كبيرة نفجرت»[10]ص17.

هذا ، ويواصل " الطيب " عرض الأحداث في الوحدة السّردية الثّالثة ، معتمدا – دائما – على تقنيّة السّرد المباشر ، فيقدّم المعلومات السرديّة المتعلّقة بماضيه بدرجة أكبر، حيث يذكر تفاصيل بعض الأحداث التي ذكرت في الوحدة السّردية الأولى موجزة ، مثل : حدث بناء القرية الجديدة و بناء السدّ ، و حدث مجيء الطّلبة ، بالإضافة إلى معلومات سرديّة جديدة تتضمّن تفاصيل حدث " الزّردة " ، و رقص " الأحمر " مع " الجازية " ، ففيما يتعلّق ببناء القرية الجديدة ، و بناء السدّ ، يذكر " السّارد " ما يلي :

-« الشّامبيط همّه بناؤها ، لتتمكّن الشّركة من بناء السدّ ، أشيع أنّ له اسمها في تلك الشّركة ، أو شيئا يشبه ذلك ... كما يريد أن يتمكّن ابنه الذي قرأ في أمريكا من مخالطة السكّان ، في الدّشرة لا يستطيع ذلك ، الصّعود إلى الجبل مرتين متتاليتين فقط يكرهه في كل شيء ، و يدفعه إلى العودة إلى أمريكا كما زعموا » [10]ص56.

- « الشركة – أيضا – تود أن ينتقل السكان في أسرع وقت ممكن ، و لو تبنى لهم مؤقتا بيوت من

قزدير ، ليتسنى لها الشروع في بناء السد ، لأنه لا يمكن الشروع في أي بناء ، و الدشرة في رأس الجبل » [10]ص56.

- « قالت : إذا بني السدّ فلن تضيع بعد ذلك مياه الجبال ، سيعم الخصب ، و تحيا عيون السهل و تصبح الأراضي كلّها سقويّة ، لكنّ السكّان ردّوا بأن الماء لا يمكن أن يتجمع في سد هناك ، المياه كلها تغيض تحت الصّخور في قرارات قصوى ، فهو لن ينفع أحدا ، بل يضر ... و لتكون الصّورة أكثر بشاعة أضاف السكّان ، أنّ هذا السدّ إن بني ، سوف يكون هاوية ضخمة قرارها الجفاف ، إنّه في نظرهم سدّ لا لتجميع الماء ، و لكن لسد الطريق الوحيد المؤدي للدشرة ، حيث الجامع الذائع، جامع السّبعة»[10]ص57، و أمّا فيما يتعلق بحدث مجيء الطلبة فيتقدم " الطيب" المعلومات الآتية :

- « أرى الشّامبيط يتقدّم مجموعة من الطّلبة المتطوّعين »[10]ص55.

- « ثمّ جاء الطّلبة ، مهمّتهم فيما أشاع الشّامبيط، إقناع السكّان على الاستعداد للرّحيل إلى القرية الجديدة ، قبل أن يبنى السدّ ، و تنقطع الطريق »[10]ص58.

- « لكن الطلبة لم يكن يهمّهم انتقال السكان من القرية إلى أخرى ، بقدر ما كان يهمّهم انتقالهم من الماضي إلى المستقبل » [10]ص58.

- «عندما وصل الطلبة لم يكن حاضرا بساحة الجامع ، كان علي أن أشارك في الاجتماع الطارئ الذي عقدته الجماعة للنظر في إقامة الطلبة ، كانوا سبعة ، ستة فتيان و فتاة ، أقول فتيان تجوزا ... احمر كان في سن الثلاثين تقريبا »[10]ص60.

- « لم يبد أحد استعداده لأن تشاركه حياته العائلية طوال شهر»[10]ص60.

- « عرضت عليهم أن تقيم الطالبة في دارنا فأسرّهم ذلك ، اقتراح طالب نفسه هو الأحمر أن يذهب معي – أيضا - ، و رحّبت بذلك ، لم يكن هناك ما يمكن أن أختشيه من وجودهما بيننا»[10]ص60، وفيما يخص حدث " الزردة " ، فيعرض " السارد " تفاصيلها بإسهاب ، تذكر بعضها فيما يلي :

- « قررت الدشرة أن تقيم لهؤلاء الضيوف ضيافة ، و ضيافة مدنيين في قرية جبلية مشهورة بالأولياء ، ما عساها أن تكون إن لم تكن زردة ! »[10]ص59.

- « عندما تقام الزردة بدون مناسبة تقليدية تدعو إلى إقامتها ، تشكل ظاهرة إجتماعية ممتازة ، رغم

ما يشوبها من خرفات و أساطير ، فيها تزول الحواجز ، و يرتفع الحجاب ، و غالبا ما تكون مناسبة للتعارف بين فتيان القرية و فتياتها المحجبات . إن أغلب السكان يعتقدون أن الدعوات الصالحات لدى أضرحة الأولياء السبعة ، يولدن العواقم ، ويزوجن العوانس ... و أنّ من جاء إلى السّبعة بنيّة سيّئة لن ينجو من نقمة أوليائها ، و كثيرا ما تحقق ظنهم ، لكن بأسباب خارجة عن الأولياء» [10]ص70.

-« الزّردة الّتي قرّر السكّان إقامتها تكريما للطّلبة ، لم تكن خالية من الخلفيات ، إنّها بمثابة محكّ ... إذ سوف يتعرّفون على القرية مجرّدة من ثيابها ، سوف يرون نساء ، و فتيات ربّما لن يتمكّنوا من رؤيتهنّ في الظّروف العادية »[10]ص70.

- « جيء بالثّور الأبقع ، لم يكن مهتمّا بما ينتظره ... ذبح الثّور ، و سال الدّم في صحفة من الفخّار بلغ منها النّصف ... ، فعل ذلك سبع مرّات في ساحة الجامع على عدد الأولياء ، و الأيّام »[10] ص84،85، 83 .

- « أجلست النّساء في جهة ، و الرّجال في الجهة المقابلة ، أجلس الطّلبة المتطوّعون و معهم صافية في صدر الساحة مع الشامبيط ، و أعيان القرية ، و الدراويش ، و الإمام »[10]ص85.

و فيما يتعلق بحدث رقص " الأحمر مع " الجازية " فيقدم " الطيب" المعلومات التالية :

- « عاد الطلبة من الرقص إلى أماكنهم ، ما عدا الأحمر الذي إستمر في الرقص مع الدراويش ، تهامس القرويون فيما بينهم ، مندهشين من بقاء الشاب في الرحبة مع الدراويش ، هم يعرفون أنّ الدراويش مكرة ، سوف يترك لسانه على ألسنتها المتوهّجة »[10]ص86.

- « أما الأحمر ، فكان يرقص مع الدراويش و هو حالة سكر كامل ، بذلك الجو الغريب »[10]ص89.

- « طلب درويش منجلا أبيض من وهج النار ، و قدمه إلى الأحمر ، أخذه منه الأحمر بدون تردّد ، تشبثت عيون الحاضرين به ، منتظرين ماذا يفعل بالمنجل »[10]ص89 .

- «لعق الأحمر المنجل الأحمر ، صاح الناس و الدراويش – الله أكبر - ، ثم لعقه ، »[10]ص 90 .

- « لكن الأحمر كان رأى تجمع ضوء البرق على الجازية ، فاتحه نحوها يشق صفوف النساء ، مد يده إليها » [10]ص90.

- « جرها الأحمر إلى الرحبة وسط الدراويش ، لم يتمكن من رؤية وجهها ، هم بنزع اللثام عن وجهها ، لكنها منعته ، قدم لها منجلا محمي فلعقته ، راقصها فراقصته .. الأحمر يرقص ، الجازية ترقص ... » [10]ص91.

- « ... الجازية و الأحمر يزدادان حماسا ، رقصهما يتّخذ حركات غريبة لم تر القرية مثلها قط »[10] ص91، وتجدر الإشارة إلى أن الوحدة السّردية الثالثة ، و إن غلبت عليها صيغة السرد المباشر للأحداث ، إلا أنها حوت بعض المقاطع الحوارية [10]
ص62،63،64،65،67،68،69،72،73، و بعض الخطابات المنقولة إلى أسلوب غير المباشر ، نذكر من أمثلتها :« قال لي ذات يوم : أرفض الأشياء التي تريدها ، تقبل عليك وحدها »[10]ص60: «قلت واحدة تصف الأحمر : شعره كالذرة ، قالت أخرى : عيناه فريكيتان ، قالت ثالثة : بوجهه نمش كالقمر ، قالت رابعة : طويل كالصفصاف» [10]ص79، «حكت الجازية لأختي تقول : غمرتني بهجة لا توصف ، أحسست السّاحة و الدّراويش ، والشّامبيط والصّفصاف ، و أخاك و الجبل ، و السّبعة و الطّالب الراقص بمنجله ، مثل الدراويش الآخرين ، أحسست بهم كلهم يدورون في رأسي و يرتفعون عاليا إلى ملكوت النّشوة القدسية [10] ص 79،80 ،

ويورد " الطيب " – إلى جانب المعلومات المفصلة التي قدمها عن ماضيه – بعض الأخبار السردية التي لا تزيد حاضره (السجن) إلا وضوحا و جلاء ن فيقول : " الليل طويل ، الظلام يملأ الحجرة ، لا أرى شيئا لا الصور البنوغرافية ، لا الألفات – العصى – التي لم تصل بصاحبها إلى الباب ، أبحث بأظافري عن صورة من غيابات الذّاكرة لأتسلّى بها في هذا السّجن الرّهيب ، فلا تخرج الصورة ، أرى أمامي لا شيء سوى ألفات رفيقي الّذي لم تصل به إلى الباب ، ألتفت إلى الباب فأراه في وقاره كالصّنم ينظر إليّ بعينين خلتا من الإنسانيّة ، و لم يبق فيهما سوى آلة لمراقبة السّجناء ، أمتدّ على سريري القذر » [10]ص55.

و على خلاف الوحدتين السّابقتين ، الأولى و الثالثة ، تأتي الوحدة السّردية الخامسة ، على شكل قصّة أقوال ، حيث تقلّ المعلومات السّردية ، و يكثر الحوار ، الّذي لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحاتها، أمّا عن المعلومات السّردية ، فقد جاء عرضها بدرجة أقلّ بكثير من الوحدتين الأولى ، والثّالثة ، سواء ما تعلّق منها بحاضر " الطيب " ، و أو ما تعلق منها بماضيه ، و كلّها معلومات سبق للسارد أن ذكرها ، و على غرار الوحدة السردية الخامسة ، تأتي الوحدة السّردية السابعة ، في أغلبها على شكل قصة أقوال(حوار) ، يتخللها بعض السرد المباشر ، الذي لا يقدم فيه " السارد" أي معلومات ذات أهمية ، نذكر منها ما يلي :

- « لكن أحببت أن أعرف كم استغرق من وقت رفيقي الذي لم تصل به ألفاته إلى الباب ، في نقش تلك – العصي- المتتابعة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، فتح السجّان الباب ، السجّان مقبل ، خطاه الغليظة تسمع من كلّ الغرف »[10]ص181،182،183.

- « لو أعدت إستعراضه من جديد ، لوجدت أزخر فترة فيه ، هي تلك الأيام التي قضاها بيننا الطلبة المتطوعين ، عادت إلى ذاكرتي تنقلاته الجبلية طوال إقامته بالدشرة ، السكان بحدسهم رفضوا الرحيل ورفضوا السد ، رفضوا التغيير الذي يأتيهم من حفدة الشنابط، و الدوائر القدامى »[10]ص183،185،189،و الملاحظ في المقاطع الحوارية التي تضمنتها الوحدة السّابعة ، هو حضور " السّارد" الكلي الحضور فيها ، حيث يمثّل أحد طرفي المقاطع الحواريّة :« " الطيّب" و " الشّاعر" » [10]ص181،182،183، «" الطيّب " و " السجّان " »[10]ص183،184، «" الطيب " و " صافية " »[10]ص184،185،186،187،189.

إنّ غلبة " الحوار " في هذه الوحدة ، و قلة المعلومات السردية أمر معقول ، كونها آخر وحدات الزمن الأول من الرواية ، و إذا ما حاولنا تخليص ما جاء في عنصر المسافة في الأزمنة

الأولى ، تقول بأن تقديم المعلومات السردية في وحدات الزمن الأول من الرواية ، جاء بطريقة غير منتظمة ، أي : بدرجات مختلفة و ذلك حسب حاجة " السارد " في كل وحدة ، و هي الحاجة التي لا تنفك صلة عن " القارئ " ، الذي يسعى " الطيب " إلى شد إنتباهه ، و جره إلى متابعة الأحداث الروائية إلى آخرها ، فجاءت الوحدتان السرديتان الأولى ، و الثالثة على صيغة أحداث ، و جاءت الوحدتان السرديتان الخامسة ، والسّابعة على صيغة قصّة أقوال ، و في كلا الصّيغتين كان " السّارد " مهيمنا على السّرد .

2.1.1.3- التّبئير :

لا يمكن تحديد نوع التبئير في الوحدات السردية ، التي يتألف منها الزمن الأول من الرواية إلا من خلال تعيين المبئر من جهة ،و المبأر من جهة أخرى ، و لقد تم – بعد تتبع أحداث الأزمنة الأولى من " الجازية و الدراويش " – إحصاء بؤرتين : بؤرة أولى بضطلع بها " الراوي " ، و بؤرة ثانية يضطلع بها " الطيب " (الشخصية) ، فتبدأ الرواية بضمير الغائب (هو) «أدار السجان مفتاحا غليضا في القفل»[10]ص07، و ذلك على لسان " المؤلف" الغائب عن مسرح الأحداث ، و الذي يخفي – فجأة – ليحل السرد إلى " الطيب" ، الشخصية الحاضرة في مسرح أحداث الرواية . إن إنتقال فعل السرد من " المؤلف" إلى " الطيب" ، هو إنتقال و تغير في الرؤية ، فالقارئ يلج في عالم الرواية بعين " الكاتب" الغائب ، ليرها – فجأة – بعين أخرى ، و هي عين " الطيب" الذي يوكل إليه

المؤلف " مهمة التئبير ، لتوجيه المسار السردي ، و ذلك بتقديم الشخصيات ، و الأماكن ، و الأحداث تبدأ الرواية – إذن – بتئبير من الدّرجة الصّفر ، أو اللاتئبير باعتبار" المؤلف" أعلم بما في الرّواية من غيره ، أنه صانع أحداثها ، ومحرّك شخصياتها ، و من بينها شخصية " الطيب" ، الّذي أعطاه "المؤلف " الكلمة ، و أملى عليه وظيفة السرد ، و هذا الأخير أعلم من " الطيب " ، لأنه من اختراعه ، وضع له مكانا ، و ألف له قوالا ، و جعل له حاضرا (السجن) ، و جعل ماضيا (القرية و ما يتعلق بها من أحداث) ، و من خلال وجهه نظر " المؤلف" ، و تبئيره ندرك حاضر و ماضي " الطيب" و تجدر الإشارة إلى أنّ توقف المؤلف "عن السّرد في الزّمن الأوّل ، و لا يعني إفتقار إلى المعلومات السردية ، كما تغيّر ركن التّبئير منه إلى " الطيب" ، لا يعني قصوره عن النظر ، و إنما يؤكد ذكاء " الكاتب" ، الذي يعلم أن هناك زمنا ثانيا ينتظره (يسرد أحداثه) ، فهو يسعى على تنويع وجهة النظر ، و تعدّد البؤرة ، حتّى لا يملّ " القارئ" وهو يتّبع أحداث الرّواية . هذا فيما يتعلق بالبؤرة الأولى، أما فيما يتعلق بالبؤرة الثانية ، فإنها تتمثل في تبئير " الطيب" ، الّذي يتم بمعزل و منأى عن " المؤلف" ، فبمجرد أن يحيل هذا الأخير الكلمة إلى " الطيب" ، يصير " الطيب" يبئر، و يسرد الأحداث منفردا ، و يتحدد نوع تبئيره حسب المبأر ، و ذلك من خلال ثنائية (المبئّر ، المبأّر) ، و عددها ثلاث ثنائيات : (الطيب ، الأحمر)، و (الطيب، الأخضر) و(الطيّب ، الشّامبيط) .

-الطيب / الأحمر :

لا يوجّه " الطيب" أي : " السارد " شخصية الطالب " الأحمر" من منظور واحد ، و لا يبئرها بنوع واحد من التبئير ، فهو إما سارد عالم (يعرف أكثر مما تعرفه الشخصية ، أي " الأحمر" ، و هذه الأخيرة – بدونها – تجهل ما يعرفه " الطيب") ، فيقول :« الطالب الحالم لا يعرف أشراك الشامبيط »[10]ص10، إما سارد أقل علما من الشخصية ، حيث تغيب عنه المعلومات المتعلقة بالطالب " الأحمر" :« لماذا جاء الأحمر كمتطوع مع الطلبة ، و هو قد دراسته على ما قبل ؟! » [10]ص20،«لم تنته أعماله !، أي ماذا يريد هنا؟»[10]ص146،«ماذا قال في هذه الدراسة؟» [10]ص86،«لماذا الأحمر لم يعرب عن مواقفه للدشرة في رفض مشروع السد ، و رفض الرحيل إلى القرية الشامبيط ؟»[10]ص150، و إما سارد مساو للشخصية فيما تعرفه ، و فيما تراه : «الأحمر إختار أن يدخل إلى عقول الناس من عيونهم بدل الآذان»[10]ص126، « الأحمر أراد أن يغرس حلمه في قمة جبل صخري ، ليضيف إليه لونا لا يعرفه »[10]ص136، «ثم إنه طالب من المدينة ، رقص مجاراة لتقاليد القرية ، لا حبا في الرقص ، و لا أجل الجازية ... بالنسبة له رقصه مع الجازية يشبه الرقص مع أي طالبة»[10]ص148.

- الطيّب / الشّامبيط :

يتراوح تبئير " الطيب" للسّارد لشخصية " الشامبيط " ، بين التبئير الخارجي ، حيث يجهل مخططات " الشامبيط " ، و تغيب عن ذهنه الـكثير من المعلومات المتعلقة به ، و بين التبئير الداخلي ، حيث يعرف " الطـيّب" ما يعرفه " الشّامبـيط " عن نفسه ، أي : عن مشاريعه المشكوك فيها ، بالإضافة إلى إحاطته علما بأخبار ابنه ، فأمّا التّبئير الخارجي ، فيوظّفه " السّارد " في الصّفحات الأولى من الزّمن الأوّل :« لماذا الشّامبيط حاضر في البداية و في النّهاية ؟ ، لماذا تحمّس لبناء قرية لترحيل السكّان إليها ، ووهب قطعة لبنائها ؟ ، لماذا تحمّس لبناء السدّ ؟ ، هل صحيح أنّ ابنه تستخدمه وكالة ذات خيوط ملتوية طويلة ؟ ، هل بين بناء القرية و السدّ و بين الوكالة علاقة ؟ ضروري أن يعرف كلّ شيء ، إنّني أجهل كلّ شيء»[10]ص20، و أمّا التّبئير الدّاخلي فهو أغلب ما وظّفه " الطيّب" في توجيه نظرته لشخصيّة " الشّامبيط " : «لم يكن يريد منها بتولتها فقط ، كان يريد أن يتوّج اسمه بهالة النّور ، الّتي صنعتها بندقية أبيها و دماؤها ، يريد مسح عار الشّنبطة عن جبينه»[10]ص25، «الشامبيط ذكي ، لم يرد إغضاب الجازية و الدّشرة معا ، عبر القرويّين أنّه لا يعارض الجماعة ، كلّ أمله أن تدرك الجازية أنّ ابنه ليس كالآخرين ، إنّه يقرأ في أمريكا في آخر الدنيا ، و أن أساتذته يملكون الأرض و معها القمر »[10]ص26، «الشامبيط همه بناؤها ، لتتمكن الشركة من بناء السد ، أشيع أن له أسمها في تلك الشركة أو شيئا يشبه ذلك ... كما يريد أن يتمكن إبنه الذي قرأ في أمريكا من مخالطة السكان ، الشامبيط – إذن – يسعى بكل الوسائل ، لإغراء السكان بقبول الإنتقال إلى القرية الجديدة التي وهب قطعة أرض لتبنى فيها »[10]ص56.

-الطيّب / الأخـضر :

يوظّف " الطيب" لتوجيه شخصية أبيه " الأخضر بن الجبايلي " ، نوعا من التبئير هو التبئير الداخلي ، فالسّارد يعرف ما تعرفه الشخصية (الأخضر) لا أقل و لا أكثر ، كما يعرف ردود فعله وطريقة تفكيره : «لا بد أن تفهمي يا أختي الساذجة ، أبونا عندما يتحدث عن المدينة يقول نهبط ، يعني : نتّضع »[10]ص17، «ابتسامة عادة يعبر عن سخطه »[10]ص72،« لم يرقه ذلك بدون شك »[10]ص145

2·1.3- الصّيغة في الأزمة الثانية :

1·2·1.3- المسافة :

إنّ ضبط المعلومات السردية و تنظيمها في الوحدات السردية الكبرى للزمن الثاني من الرواية ، لم يتم على وتيرة واحدة ، حيث يقدم " السارد " (المؤلف) أحداث الزمن الثاني بدرجات متفاوتة ، فقد مزح " المؤلف" في الوحدة السردية الثانية بين صيغة قصة أحداث ، و صيغة أقوال ، فبقدر ما تضمّنت من الأخبار السردية ، تضمّنت – أيضا – من المقاطع الحوارية ، فنجد فيما يتعلق بالمعلومات السردية ما يتعلق بـ " عايد" :« من بين هؤلاء عايد ، شاب ذو عزم عاش بالمهجر منذ الطفولة ، أبوه صديق حميم الأخضر بن الجبايلي أبي السجين ، نما عايد و ترعرع ، و ترعرع في نفسه حب هذه القرية الجبلية التي تحيا فيها الجازية ، و التي حدثه أبوه عنها أحاديث عذبة رقرارقة ، سما بها الحنين و الشوق إلى مستوى الأساطير . جاء إلى الوطن بسيارة فخمة ضخمة ، إستكبرها فيه الناس »[10]ص29-27، كما نجد من الأخبار ما يتعلق بماضي القرية :« سمعوا بمقتل الطالب صاحب الحلم الأحمر ، سمعوا بسجن الطيب بن الأخضر الجبايلي ، سمعوا بإعتزام الشامبيط خطبة الجازية لإبنه الذي يقرأ في أمريكا ، سمعوا أنّ طالبا مدروشا ذهب إلى هذه القرية ، و راقص الجازية خطيبة الطيب بن الجبايلي ، فقتله هذا إنتقاما لشرفه ومن ثمة خلا الجو للشامبيط ·تاريخ الدشرة هو ذكريات مرتبطة بسنى الخصب و الجدب ، و بسنى القرّ والحر ، الحرب التي خاضتها من أجل

التحرير رغم عظمتها ، لم تسطر في رؤوس السكان أكثر من ذكريات »[10]ص39-28،ناهيك عن أخبار " الأخضر بن الجبايلي " [10]ص48،49، و لقاء "عايد" بحجيلة [10]41،42، هذا وفيما يخص المقاطع الحواريّة الّتي يتخلّلها السّرد نجد الحوار بين "عايد والأخضر " [10]ص42،43،44،45، "ع، و"هادية و حجيلة "[10]ص46،47،48،49،50، و تجدر الإشارة إلى أنّ السارد يغيب في هذه الأخيرة (المقاطع الحوارية) تارة ، و يحضر تارة أخرى ، و على خلاف الوحدة السابقة ، أي : الوحدة السردية الكبرى الثانية ، جاءت الوحدة السردية الكبرى الرابعة في صيغة قصة أقوال ، حيث يكثر الحوار ،و تكثر الخطابات المنقولة على أسلوب غير المباشر،فالنسبة إلى المقاطع الحوارية التي يتخللهاالسرد،نحصي الحواربين:"عايدوالراعي "[10]ص100،101،102،103، وبالنّسبة إلى الخطابات المنقولة إلى أسلوب غير المباشر فنجد ما يلي :

-« قال له : إنّ الجازية خطيبة إبنة منذ الطفولة ، و أن السكان كلهم متفقون على أن يتزوجها هو ، و أن مربيتها قبلت ، و إنها هي نفسها قبلت ، أي : الجازية لم تمانع ... و إنه إذا لم يتم الزواج من قبل

فلان ، الطيب لم يكن قد أنهى دراسته... لكن عندما جاء الطلبة المتطوعين إضطربت الأمور» [10]ص95.

-« قال له : سحبها إلى حلقة الرقص سحبا ، فإضطرت لمجارته ، ثم من بعد أرغمها على لعق المنجل والرّقص معه إلى درجة الجنون ، حتى لأن السماء نفسها غضبت ، فأرسلت بردا على الدشرة لم تعرفه في تاريخها الطويل ، تركها خرابا بيابا ... لقد وجد إحدى حباته الدم » [10]ص96.

-« قال له ما معناه : منذ رأته التهمته بعينيها و بكل أجزاء جسمها ، قالت له : فضني مرة واحدة لا تتردد ، اللؤلؤة لا تتصدى باللمس و الهمس ، فضني و إرتحل إن شئت ، بذرتك سوف أخصبها مهما كانت الزوابع ، و أضمن لأحلامك أن تبقى حيّة »[10]ص98. و ما يلاحظ في هذه الوحدة ، هو قلة المعلومات السردية التي تكاد تنعدم ، ماعدا تلك الأخبار المتعلقة بعين المضيق :« الطريق ضيق ملتو ، يصعب معه الهبوط و الصعود على من لم يتعوده – بدا لعايد أن الهبوط أصعب من الصعود ، تكفي عثرة لدى أحد المنعرجات ، ليجد المرء نفسه في الهاوية ، تعجب عايد من مرونة حيونات تلك الناحية ، بغال ، حمير ، بقر ، كلها تسلكه بصورة عادية و لا تحيد ، قبيل عين المضيق بخطوات ، وقف وحاول أن يتخيل شخصا يدفع الآخر من هناك ، بدا له ذلك مستحيلا ... ثم حاول أن يتخلل نفسه مقبلا من جهة العين اتجاه الدّشرة ، لا يمكن لشخص مطلقا أن يدفعه من الوراء ، لأن الطريق مصعد ، أما لو جاء قطيع من بقر أو كباش أو غيرها ، فإن من العسير على من يكون هناك أن يجد ما يلوذ به ، بل

الغالب أن يسقط في الهاوية ، حيث تتربع صخرة عظيمة على بعد نحو من عشرين مترا ، و هي الصخرة التي وجد الطالب عليها قتيلا ، و قد إندقت عظامه» [10]ص106، و كلها معلومات تساعد على فهم غموض مقتل "الطيّب "، و على منوال الوحدة السردية الكبرى الرابعة ، يعرض " السارد " (المؤلف) أحداث الوحدة السّردية السّادسة على صيغة قصة أقوال ، حيث تكثر المقاطع الحوارية التي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات الوحدة ،و تتمثل في الحوار بين : " عايد" و حجيلة "[10]ص151،152،153، وكثرة الحوار في الوحدة السردية الكبرى السّادسة ، لا يعني خلوّها من المقاطع السردية التي تقدم بعض المعلومات المتعلقة بلقاء " عايد" مع " حجيلة" :« دخلته أولا في صورة تجسم الجازية ، يوم أن رآها لأوّل مرّة وهي مقبلة في جمع من النساء و هالة الحسن تتقدّمها »[10]ص167، بعض المعلومات المتعلقة بالشامبيط و ابنه : «الشامبيط و إبنه آتيان يوم الخميس للدشرة من أجل الجازية ، ذلك يدلّ على أنّه مصمّم على تزويج ابنه منها ... من قرأ في أمريكا لا بد أن يتعلم هذه الأمور البسيطة التي تصبغ الأشياء المظلمة لتصير برّاقة»[10]ص176، أمّا حضور" السّارد" في هذه الوحدة فنسبي ، حيث يحضر تارة في السرد الخالص ، و يغيب تارة أخرى في الحوار ، و تأتي الوحدةالسردية الكبرى الثامنة (آخر وحدات الرواية) على صيغة قصّة أحداث ، أين

تكثر المعلومات السّردية ، و يهيمن " السّارد" على عمليّة السّرد ، ليطلعنا على عدّة أخبار:"إقامة الزّردة"[10]ص199،"مجريات الزّردة" [10]ص201،202،203،204،205،206:(التّحضير لها ، حضور حجيلة ، رقص "عايد" مع " حجيلة") ،موت الشّامبيط [10]ص215،217،216 - 241مشاريع الشّامبيط [10]ص209،210،211،212.

واللافت للإنتباه في الوحدة السّردية الثامنة ، هو أنّ " السارد " لم يعرضها على صيغة قصة أحداث عبثا ، بل فعل ذلك لتفسير أحداث كثيرة ، أهمها حدث مقتل الطالب " الأحمر" ، فالزردة التي سرد أحداثها المؤلف في هذه الوحدة و التي قتل عقبها " الشامبيط" ، و هذه الأخيرة تشبه الزردة التي سرد وقائعها " الطيب" في احدى وحدات الزمن الأوّل، و التي وجد عقبها الطالب " الأحمر " ميتا أسفل عين المضيق. لقد فكت أحداث الوحدة السردية الكبرى الثامنة لغز الرّواية ، المتمثّل في مقتل الطالب " الأحمر" ، الذي إقتيد " الطيّب" بسببه إلى السّجن ، و هو حدث تضمنته الوحدة السردية الأولى ، و ذلك يعني أن الزمن الثاني وضح و فسر ما جاء في الزمن الأول من غموض و إيهام ، و كثرة المعلومات السردية في هذه الوحدة (الثامنة) ، لم تمنع من وجود الحوار ، فقد تمّ إحصاء مقطعيم حواريين الأول منهما بين " الأخضر و هادية"[10]ص214، و الثاني بين " الخضر ، و عائشة لنت سيدي منصور ، والجازية و، و حجيلة ، و عايد " [10]ص218،219،220،221.

2.2.1.3- التّبئير :

يرتكز السّرد في الوحدات السّردية ، من الزّمن الثّاني من الرّواية ، على شخصيّة " عايد" وعودته إلى القرية ، و يوظّف " السّارد في حدث عودة هذا الأخير إلى القرية ، و في توجيه ، و تقديم المعلومات الخاصّة ، التّبئير الدّاخلي ، حيث يرى المؤلّف " ما تراه شخصيّة " عايد" ، و يعرف ما تعرفه ، و يقدّمها تارة داخليّة (حديث نفسها ، أحاسيسها ، مشاعرها ، تفكيرها) ، و يقدّمها تارة أخرى خارجيّا (حركتها ، ملامحها، ردود فعلها) ، و الأمثلة في هذا الشّأن كثيرة يمكن عرض بعضه فيما يلي :

- « شابّ مثقّف ذو عزم ، عاش بالمهجر منذ الطّفولة ، أبوه صديق حميم للأخضر الجبايلي أبي الطيّب السّجين »[10]ص27.

- « لم يفكّر ، رجع ، الجازية حلم ، و هو الحالم »[10]ص29.

- « ترك سيّارته و أمتعته بالقرية السّهلية المركزيّة ، و استأنف طريقه راجلا إلى الجبل ، التوى به الطّريق مصعدا دائما إلى أعلى ، خيّل إليه أنّه كلّما صعد زادت القرية ارتفاعا »[10]ص30.

- « سوف يتحصّل منه على بعض المعلومات ، ربّما لم يتوصّل إليها على طريق آخر ، كان يظّن أنّ الرّاعي ساذج لا يمكن لمحه أن يشتغل ، كلّ ما يمكن أن يفعله هو الإجابة بنعم أو لا ، أو الإدلاء بما يعرف »[10]ص31.

- « كان يودّ أن يعرف ما انتهى إليه أمر خطبتها بعد مقتل الطّالب ... أشياء كثيرة كانت تدور في رأسه وكلّها تتّصل بالجازية »[10]ص36،37.

- « خفق قلبه خفقانا شديدا ، إنّها الجازية ، الحلم الّذي جاء بي من آخر الدّنيا »[10]ص41.

- « عايد متسلّق على قفاه بالقرب من الصّفصاف ينظر إلى السّماء ... جذب أنفاسا من السّيقارة الّتي

كانت بيده و رماها ... إنّه يشعر بحزن عميق ، منذ أن أعلمه الأخضر الجبايلي بقضيّة الجازية » :[10]ص95.

- « أحسّ كلّ غرائزه تتّجه إليها تحتضنها ، تمتصّ منها كلّ مقوّمات أنثتها ، لقد تحوّل ذلك الاهتزاز

الدّاخلي إلى اهتزاز خارجي ملحوظ بالعين ، إنّ جسمه صار يرتعد »[10]ص115.

- « صحيح ، قبل أن يحلّ بالدّشرة كانت الجازية تحيا في نفسه بشكل مكثّف ، لكنّها بقيت في مستوى الفكرة أو الحلم ، أمّا الحقيقة فقد اتّخذت شكلا لها في شخصيّة حجيلة »[10]ص167.

- « و فكّر عايد أنّه إذا استطاع أن يرى الجازية ، سيحقّق جزءا من وصيّة أبيه ... و سيتّخذ بعد ذلك موقفا واضحا ، و جرّته خواطره إلى ما أبعد من الرّؤية ... فكّر أنّه سيحاول التحدّث إليها ، و لو إشارة ، و يتّفق معها على موعد ، ثمّ من بعد إذا تمّ بينه و بينها ما جاء من أجله ، سيطلب يد حجيلة » [10]ص179.

- « لأوّل مرّة يرى عايد الحضرة بكلّ مقوّماتها ، أنّها شيء رهيب »[10]ص206 .

- « و تساءل في نفسه : من وراء موت الشّامبيط ؟ ، ماذا كان يعمل هناك الأخضر بن الجبايلي ؟ والرّاعي كيف كان هناك و لم يحضر الزّردة ؟ »[10]ص209.

- « كان ينظر رؤيتها بشوق ، و لكن في ساحة الجامع »[10]ص214 .

2.3- الصّوت :

يعتبر " الصّوت" من القضايا الأساسيّة الّتي يقوم عليها منهج " جيرار جنيت" في تحليل القصّة ، و من خلال ما ذكر في عناصر البحث السّابقة ، أي :عنصر التّنافر الزّمني ، و المدّة ، والصّيغة ، يتبيّن أنّ رواية " الجازية و الدّراويش" تعتمد في سردها على السّرد المدرج ، حيث تتداخل فيه الأنواع السرديّة : السّرد السّابق ، و السّرد اللّاحق ، و السّرد المتزامن، و ذلك ما يجسّد الانكسار الّذي تعرّض له بناؤها الزّمني، ومن الأمثلة الّتي أحصيناها في ذلك ما يلي :

-« لكنّ القدر لا يكتب قبل وقوعه : لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »[10]ص20 : سرد متزامن .

-« الّتي ملأ حبّها حياته »[10]ص28 : سرد متزامن .

-« من بين هؤلاء عايد ، شابّ مثقّف ذو عزم ،عاش بالمهجر منذ الطّفولة ، أبوه صديق حميم للأخضر الجبايلي أبي الطيّب السّجين »[10]ص27: سرد لاحق .

-« لاأعرفه فقط إنّنا أكثر من أخوين ، كيف حاله ؟ انقطعت عنّي أخباره كم من سنة » [10]ص43:سرد متزامن .

-« أمّا الأخضر الجبايلي كان طوال حياته مثل الرّجل الوديع ، الصّبور في أعين النّاس ، وكان صيّادا ممتازا» [10]ص48:سرد لاحق ومتزامن .

-« نما عايد وترعرع ، وترعرع في نفسه حبّ هذه القرية الجبليّة ،الّتي تحيا فيها الجازية ، والّتي حدّثه أبوه عنها أحاديث عذبة ، رقراقة سما بها الحنين والشّوق إلى مستوى الأساطير» [10]ص27:سرد لاحق .

-« كلّ المهاجرين الّذين يتتبّعون ما يجري في وطنهم ، سمعوا بمقتل الطالب صاحب الحلم الأحمر ، سمعوا بسجن الطيّب بن الأخضر الجبايلي ، سمعوا باعتزام الشّامبيط خطبة الجازية لابنه الّذي يقرأ في أمريكا ... سمعوا أنّ طالبا مدروشا ذهب إلى هذه القرية وراقص الجازية ، خطيبة الطيّب بن الجبايلي فقتله هذا انتقاما لشرفه ، ومن ثمّة خلا الجوّ للشّامبيط » [10]ص28:سرد لاحق .

-« ممّا جعل الزّردات تتوالى والتنبّؤات ، أصبح الغيب شفّافا لا تخفى خفاء جيّدا وراءه الأحداث المقبلة »[10]ص58: سرد سابق .

-« قال لهم الشّامبيط : الحكومة بعثت لكم هؤلاء الطّلبة يقضون بينكم شهرا ،تشاوروا بينكم على

إقامتهم »[10]ص59: سرد سابق .

-« وإذا بمنادي الدّشرة يرتفع صوته عاليا : يا أهل الدّشرة الأخيار ، والسّبعة الكبار ، يا اللّي النّاس تزوركم من كلّ الأقطار ، نهار الخميس جاء بغرارة يروح بتلّيس ، زردة ووعدة على خاطر شبّان أضياف ، هم الرّاس ،وحنا الأكتاف »[10]ص69: سرد سابق .

-« كانت السّاحة مكتظّة بشكل غير عادي ، لاحظ هناك أشخاصا غرباء عن القرية ،يبدو من سحناتهم أنّهم من المدينة »[10]ص107: سرد لاحق .

-« كان الشّاعر ينظر إليّ وإلى جدران الحجرة ، ثمّ استلقى على السّرير القذر ، أخذ سيقارة من علبة بجيبه الصّدريّ،فركها بأصابعه قليلا ثمّ أشعلها ،لم يعرض عليّ سيقارة ولا نبس بكلمة »[10]ص119 :سرد لاحق .

-«لقد اتّضح ا لأن جليّا بعد التّحليلات التي قامت بها لجنة التّحقيق ، أنّ مناخها موبوء » [10]ص186:سرد سابق .

و يسمح تتبّع أحداث الرّواية (الأزمنة الأولى ، و الأزمنة الثّانية) بتمييز مستويين سرديّين: مستوى أولّ (سرد ابتدائي / سرد من الدّرجة الأولى) ، و تمثّله أحداث ما قبل حدث موت الطّالب " الأحمر" ، أي : " الطيّب" في القرية ، و مستوى ثان (سرد من الدّرجة الثّانية) ، و تمثّله أحداث ما بعد حدث موت الطّالب " الأحمر" ، أي : " الطيّب " في السّجن ، و " عايد" في القرية ، فيسرد وقائع المستوى الأوّل " الطيّب" و هو في السّجن ، بينما يسرد وقائع المستوى الثّاني " السّارد " ، و تربط بين المستويين علاقة تكامل و تفسير ، فأحداث الزّمن الثّاني و بالتّحديد حدث مقتل " الشّامبيط" ، تفسّر أحداث الزّمن الأوّل (مقتل الطّالب " الأحمر") . و يعدّ " الطيّب" سارد القصّة الأمّ في الدّرجة الأولى متضمّنا في الحكاية ، حيث سرد وقائع شارك فيها ، و كان شخصيّة من شخصيّاتها ، في حين يعدّ " المؤلّف " سارد القصّة الفرعيّة (قصّة "عايد" في القرية) في الدّرجة الثّانية غريبا ، سرد أحداثا لم يشارك فيها ، و لم يكن شخصيّة من شخصيّاتها ، و اكتفى بأن يكون ملاحظا يشهد مصداقيّة الأحداث ، والمخطّط الآتي يوضّح ما ذكر سابقا :

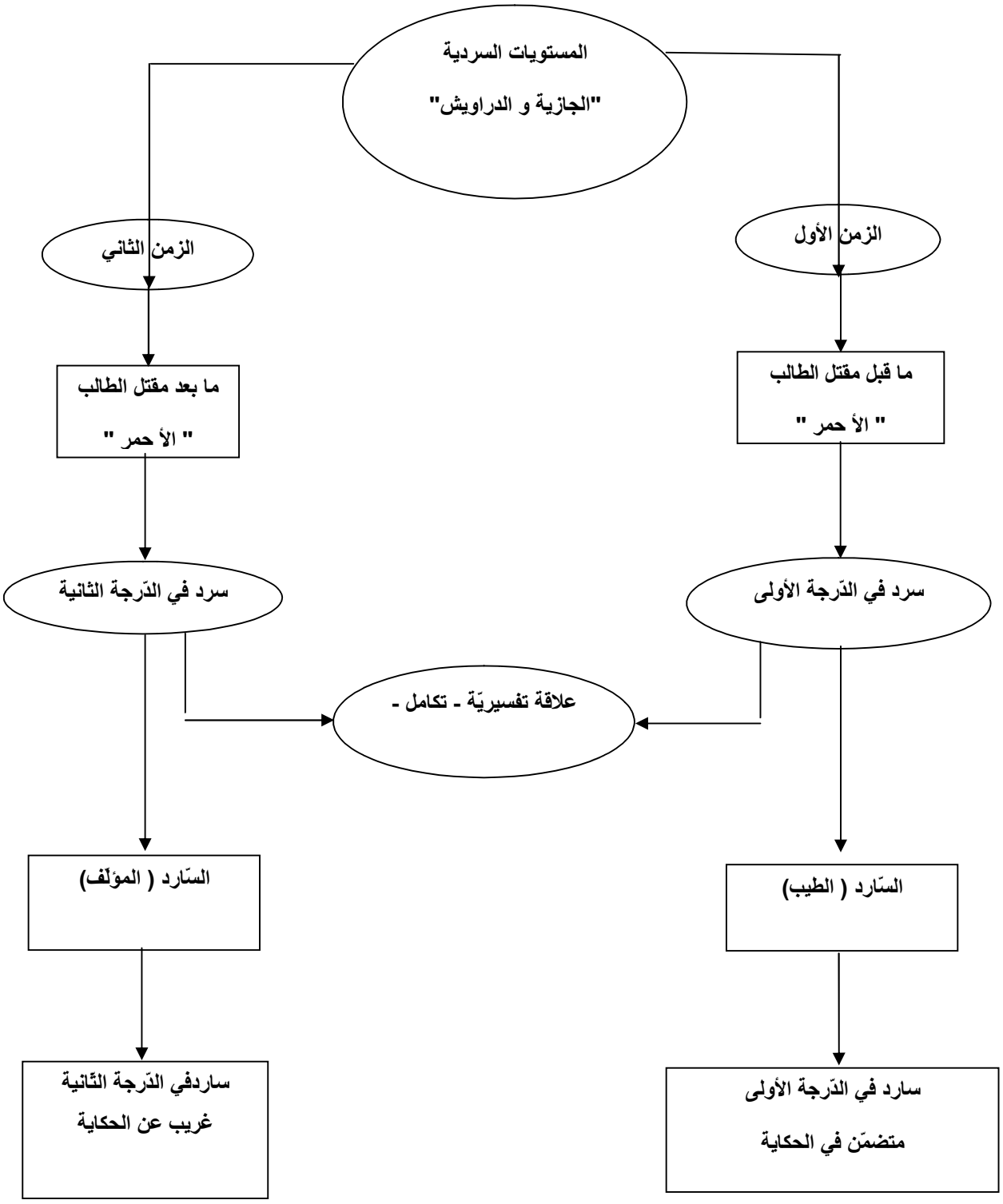
المستويات السردية
"الجازية و الدراويش"
الزمن الثاني
الزمن الأول
ما بعد مقتل الطالب
" الأ حمر "
ما قبل مقتل الطالب
" الأ حمر "
سرد في الدّرجة الثانية
سرد في الدّرجة الأولى
علاقة تفسيريّة - تكامل -
السّارد (المؤلف)
السّارد (الطيب)
ساردفي الدّرجة الثّانية
غريب عن الحكاية
سارد في الدّرجة الأولى
متضمّن في الحكاية

الخـاتمـة

إنّ أوّل ما يمكن أن يفيد به هذا البحث ، هو معرفة قيمة الأعمال الأدبيّة الجزائريّة ، شعرا كانت أم نثرا، و تحفيز الطّالب في تخصّص اللّغة و الأدب ، على البحث و التّنقيب عن درر هذا الأدب وجعلها موضوع دراساته العليا .

هذا ، و قد تمّ في هذا البحث ، الإجابة عن جملة من الأسئلة وردت في بعض الدّراسات ، و هي : هل تطوّر " ابن هدّوقة " روائيّا ، و هل استطاع إتقان كتابة الرّواية بكلّ ما تحمل من أجهزة تقنية شديدة التّعقيد ؟ ، و أين موقع " ابن هدّوقة" من تطوّر هذا الجنس الأدبي ، الّذي نما نموّا محسوسا في إفادته من تقنيّات السّرد المختلفة ، و كيفيّة التّعامل مع المضامين ، و الشخصيّات ، و الأحداث ، و اللّغة ، و الزّمن ؟ .

إنّ " الجازية " الأسطورة الخالدة الّتي ترمز إلى الحلم ،والخصب ،والحاضر والماضي ،والمستقبل ،" الجازية " المحروسة من قبل الأولياء والمعشوقة من قبل الجميع ، ما هي إلّا الجزائر العزيزة ،الّتي تكالبت عليها أطماع التجّار والسّماسرة ،ممثّلين في الاستعمار الفرنسي ،نظرا لموقعها الاستراتيجيّ ،وغناها بالثّروات الطّبيعيّة .

لقد ساهم هذا البحث الموسوم بـ : تحليل الخطاب السّردي في رواية الجازية والدّراويش لعبد الحميد بن هدّوقة، في اكتشاف التطوّر الحاصل في كتابة ابن هدّوقة الرّوائية ، و يسوّغ لنا القول (و إن لم نطّلع على روايات الكاتب كلّها) ، بأنّ " الجازية و الدّراويش " تمثّل مرحلة انتقالية ، خرج بها " ابن هدّوقة " عن المبنى الحكائي التّقليدي ، الّذي يعتمد على الرّجوع البسيط بالذّاكرة إلى الوراء ، لمعاودة السّرد الخطّي الأحادي (ريح الجنوب ، بان الصّبح ، نهاية الأمس) ، و خاض غمار كتابة جديدة " الجازية و الدّراويش" تعتمد على أجهزة شديدة التّعقيد ، أهمّها :

- التّداعي المكثّف ، و المتذبذب للماضي ، و الرّجوع العميق و غير المنتظم بالذّاكرة إلى الوراء لمعاودة السّرد غير الخطّي (التّلاعب بالزّمن) .

- تقسيم الرّواية إلى زمنين مختلفين و متكاملين ، زمن أوّل تسرد فيه الأحداث على شكل نتف (ناقصة ، و غامضة) ، و زمن ثان يعدّ بمثابة الفاصل الإشهاري ، يكشف عن أحداث الزّمن الأوّل .

إنّ تحقيق التّكامل بين الزّمنين : الأوّل و الثّاني ، و بلسان ساردين مختلفين ، في رواية "الجازية و الدّراويش"، ليس بالأمر الهيّن ، إنّه يشبه عمليّة النّسج مختلط الألوان ، و هو ما يؤكّد صعوبة دراسة التّرتيب الزّمني للرّواية ، و الّذي لا يفهم إلّا بتكرار قراءة الرّواية ، و تسجيل أحداثها و العيش معها ، ذلك ما يحتاج إلى الصّبر و عمق النّظر .

فهرس المصادر

[1]-Gérard, Genette :" Discours du récit" in Figures III. Edition du seuil, paris, 1972.

[2]-سعيد،يقطين:تحليل الخطاب الرّوائيّ " الزّمن، السّرد، تّبئير"،د.ط،الدّارالبيضاء/بيروت، المغرب/ لبنان،المركز الثّقافيّ العربيّ،د.ت.

[3]-الصّادق،قسّومة:طرائق تحليل القصّة، د.ط،تونس:دار الجنوب للنّشر،د.ت.

[4]-حسن ، بحراوي:بنية الشّكل الرّوائيّ، د.ط،الدّار البيضاء/ بيروت ، المغرب/ لبنان :المركز الثّقافي العربيّ، د.ت .

[5]-سليمة ،مدلفاف :تحليل الخطاب القصصيّ في القرآن الكريم " سورة القصص أنموذجا " ، معهد اللّغة العربيّة وآدابها ،جامعة الجزائر ،1997/1996.

[6]-مراد ،عبد الرّحمان :بناء الزّمن في الرّواية المعاصرة" رواية الوعي نموذجا " ، د.ط ، القاهرة :الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ،1998.

[7]- أ ،أمندلاو:الزّمن والرّواية ،ترجمة :بكر عبّاس ،مراجعة :إحسان عبّاس ، ط1 ، بيروت / لبنان :دارصادر ،1997.

[8]-موريس ،أبو ناضر:الألسنيّة والنّقد الأدبيّ في النّظريّة والممارسة ، د.ط ،د.م ،د.ت .

[9]-برنار، فالين :الرّواية " مدخل إلى المناهج والتّقنيات المعاصرة للتّحليل الأدبيّ "، ترجمة :عبد الحميدبورايو ، د.ط ،الجزائر :دار الحكمة ،2002.

[10]-عبد الحميد ،بن هدّوقة :الجازية والدّراويش ، د.ط ،الجزائر:المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ،1983.

[11]-محمّد ،طول:البنية السّرديّة في القصص القرآنيّ ،

د.ط ،الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعيّة ،د.ت.

[12]-أحمد ،محمّد النّعيمي :إيقاع الزّمن في الرّواية العربيّة المعاصرة ،

ط1،الأردن :دار فارس،2004.

[13]-عالية،محمود صالح:البناء السّرديّ في روايات إلياس الخوري،

الأردن:أزمنة للنّشر والتّوزيع، 2005.